

وأما التأويل الذى يثبتهُ للخوارج أصحاب الاتجاه الثانى ويذمونهم به فهو حمل الكلام على غير محامله الصحيحة وتفسيره تفسيراً غير دقيق.

2. موقف الخوارج من صفات الله عز وجل:

هذه المسألة لم أجد فيما تيسر لى الإطلاع عليه من كتب علماء الفرق بياناً لرأى الخوارج فيها بصفة عامة.

وقد ذكر الشهرستانى عن فرقة الشيبانية قولاً لأبى خالد زياد بن عبد الرحمن الشيبانى فى صفة العلم لله أنه قال: (إن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها)⁽¹⁾

وأما بالنسبة لفرقة الإباضية بخصوصهم - فقد تبين من أقوال علمائهم أنهم يقفون منها موقف النفى أو التأويل، بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبه فيها كما تقدم.

وموضوع الصفات والبحث فيها يحتاج إلى دراسة مستقلة، وبالرجوع إلى أى كتاب من كتب السلف يتضح الحق فيها بكل يسر وسهولة.

وأما بالنسبة لما ذكر عن رأى زياد بن عبد الرحمن أو الإباضية، فلا شك أنه لا يتفق مع المذهب الحق - مذهب السلف- ولو كان الأمر يخص زياد بن عبد

1 () الملل والنحل 1/133.

الرحمن وحده لما كان له أدنى أهمية، ولكن الأمر أخطر من ذلك، فقد اعتقدت الجهمية ذلك أيضاً. وبطلان هذا القول ظاهر والتناقض فيه واضح.

فإن صفات الله عز وجل قديمة بقدمه غير مخلوقة، وما يخلق الله من الموجودات فإنما يخلقه عن علم وإرادة، إذ يستحيل التوجه إلى الإيجاد مع الجهل، ثم كيف علم الله أنه بغير علم حتى يخلق لنفسه علماً؟ هذا تناقض ظاهر.

3. حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج:

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة. وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي:

1. الحكم بتكفير العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون فى النار مع سائر الكفار. وهذا رأى أكثرية الخوارج.

وعلى هذا الرأى من فرق الخوارج: المحكّمة والأزارقة والمكرمية والشبيبة من البيهسية واليزيدية والنجداث، إلا أنهم مختلفون فى سبب كفره:

فعند المكرمية أن سبب كفره ليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات، وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره.

وأما النجداث فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب، فإن كان مصراً فهو كافر، ولو كان إصراره على صغائر الذنوب، وإن كان غير مصر فهو مسلم،

حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر، وهو تفصيل
بمحض الهوى والأمانى الباطلة.

2. أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة: وعلى هذا
المعتقد فرقة الإباضية كما تقدم. ومع هذا فإنهم
يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها،
ويحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق، ويجعلون النفاق
مرادفاً لكفر النعمة ويسمونه بمنزلة بين المنزلتين
أي بين الشرك والإيمان وأن النفاق لا يكون إلا في
الأفعال لا في الاعتقاد⁽¹⁾.

وهذا قلب لحقيقة النفاق، إذ المعروف أن
المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله كان
نفاقهم في الاعتقاد لا في الأفعال، فإن أفعالهم كانت
في الظاهر كأفعال المؤمنين.

أدلتهم:

تَلَمَّسَ الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل
الذنوب بعض الآيات والأحاديث، وتكلفوا في رد
معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم، وهي
نصوص تقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر،
قالوا: وليس وراء ذلك الحصر من شيء.

ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى:

1. هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم

1 () نقلاً عن الإباضية بين الفرق الإسلامية عن كتاب المقالات
في القديم والحديث ص 315. وانظر: دراسات إسلامية في
الأصول الإباضية الأصل التاسع ص 60.

مؤمن⁽¹⁾.

2. **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون⁽²⁾.**

3. **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يُجازى إلا الكفور⁽³⁾.**

إلى غير ذلك من الآيات.

1 () التغابن: 2.

2 () المائدة: 44.

3 () سبأ: 17.

مؤمن⁽¹⁾.

ولهم أدلة أخرى نكتفى منها بهذا الحديث.

فقد فهموا من هذا الحديث نفي الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر في الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه، فإن الحديث - كما يذكر العلماء - إما أن يكون وارداً فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب، أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال موافقتهم لتلك الذنوب.

ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها، ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاء، ولا يخاض في معناها.

وقال الزهري في مثل هذه الأحاديث: "أمرُّوها كما أمرَّها مَنْ قبلكم"⁽²⁾.

وقد جاء في حديث أبي ذر رضى الله عنه أنه قال: (ما من عبد قال: لا إله إلا اله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) قلت: وإن زنى وإن سرق ثلاثاً، ثم قال فى الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، قال: "فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر"⁽³⁾.

والكلام فى أهل الكبائر مبسوط فى موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق، والمقصود هنا هو التنبيه على خطأ الخوارج فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل

1 () أخرجه البخارى 8/13، ومسلم 1/54.

2 () انظر: شرح النووى لصحيح مسلم 2/41 - 42.

3 () أخرجه مسلم 1/66.

الذنوب من المسلمين، مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة في مذهب السلف.

4. الإمامة العظمى:

هذه هي مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشأوا، وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية، شغلتهم قضية الإمامة عملياً، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم، ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار إمامهم بأنفسهم، ثم سياستهم الداخلية في الناس، وشغلتهم فكراً بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع، وكانوا يظهرها بمظهر الزاهد عن تولى الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم وحرماً لا هوادة فيها ضد المخالفين لهم.

.....

.....

.....

.....

.....

الراسبي، والنجدات حينما انفصلوا تزعمهم نجدة بن عامر، وأما ما قيل عن الإباضية من أنهم يقولون بالاستغناء عن نصب الإمام⁽¹⁾ فإن مصادرهم المتى تيسر لى قراءتها تذكر أن هذا القول إنما نسبه إليهم خصومهم، بقصد الإشاعة الباطلة عنهم⁽²⁾.

وأما تلك المبررات التى نسبت إلى من ذكرناهم فلا شك أنها مبررات واهية ولا تكفى للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة، أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل، فإنه لا يمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين.

ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم. وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على التزامه بواجباته الشرعية وعدم إيجاد الحجب بينه وبين رعيته، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً.

وقد ذهبت الخلفية من الخوارج الإباضية إلى أن كل إقليم أو حوزة يستقل بها إمامها، فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين⁽³⁾ ويكون لهذه المناطق أئمة بعدد تلك المناطق وهذا باطل ولا يتفق مع روح الإسلام وأهدافه، لأن ذلك يؤدي إلى المشاحنات والعداوة وتفريق كلمة المسلمين، وحينما قرروا أن كل إقليم ينبغى أن يكون مستقلاً عن الآخر لا يخضع إقليم ولا

1 () كما يذكر لوريمر فى كتابه دليل الخليج 6/3303.

2 () الإباضية بين الفرق الإسلامية ص 290.

3 () نقلاً عن آراء الخوارج ص 128. لكن عموم الإباضية لا تجيز هذا حسب ما جاء فى مدارج الكمال ص 172.

الذين هم من أتباع حمزة بن
أكره. وأما المعتدلون منهم - وهو اعتدال لا يكاد يذكر -
فوجد مثلاً الأخنسية منهم يحرمون الغدر بالمخالفين
أو قتلهم قبل الدعوة، وجوزوا تزويج المسلمات منهم
لمخالفهم الذين يعتبرونهم مشركين، وكذلك بعض
البيهسية.

ومن أكثر المعتدلين والمتسامحين مع المخالفين
هو تلك الشخصية المرموقة عند كافة الخوارج أبو
بلال مرداس بن أديّة، فقد خرج وهو يقول لمن يلقاه:
إننا لا نخيف أماناً ولا نجرد سيفاً، وكان مما أثاره
للخروج على الدولة أن زياداً ذات يوم خطب على
المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله: "والله
لأخذن المحسن منكم بالمسيء، والحاضر منكم
بالغائب والصحيح بالسقيم.

وهذا بالطبع لا يحتمله الخوارج فقام إليه مرداس
فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر

الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام، إذ يقول:
﴿وإبراهيم الذي وفى ألا تزرر وازرة وزر أخرى
﴿⁽¹⁾ وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي، ثم خرج
عقب هذا اليوم.

وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لابد فيها من غلاة
يخرجون على جمهورهم، إلا أن السمة الغالبة على
الخوارج الشدة على المخالفين لهم.

وقد تعود هذه الشدة، إلى ما يراه الخوارج من
وجهة نظرهم من خروج مخالفين عن النهج
الإسلامي وبعدهم عنه، وبالتالي الرغبة في إرجاع
الامة إلى ما كانت عليه في أيام الرسول ﷺ وأيام أبي
بكر وعمر رضى الله عنهما كما يدعى الخوارج.

.....

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

1 () النجم: 37، 38.

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّهُمْ لَمَّا نَادَاهُمُ اللَّهُ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْبَلَدِ الْمُنَافِقِ كَفَرُوا سَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَهْدِيهِ اللَّهُ لَهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
وَأَنَّهُمْ لَمَّا نَادَاهُمُ اللَّهُ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْبَلَدِ الْمُنَافِقِ كَفَرُوا سَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَهْدِيهِ اللَّهُ لَهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

﴿إِنَّا فَاجِرًا كَفَارًا﴾⁽¹⁾. وتبعهم في هذا بعض فرق الخوارج كالعجاردة والحمزية والخلفية.

وأما القول الثاني: فهو للنجدات والصفرية والميمونية، واستدلوا بقول الرسول ﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**⁽²⁾، والذين توقفوا في الحكم عليهم قالوا: لم نجد في الأطفال ما يوجب ولا يتهم ولا عداوتهم إلى أن يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا به أو ينكروه.

هذه خلاصة أهم آراء الخوارج في هذه القضية، والواقع أن هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء.

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا على الإيمان فإن الله تعالى يدخلهم الجنة مع آبائهم وإن نقصت أعمالهم عنهم لتقر أعين آبائهم بهم، فيكونون مع آبائهم في الجنة، تفضلاً من الله تعالى، على ضوء قوله عز وجل: **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم**

1 () نوح: 27.

2 () انظر: كتاب الأديان 104.

ذريتهم⁽³⁾.

ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال بأنهم فى الجنة دون خلاف.

وبعضهم ذهب إلى أنهم تحت المشيئة.

وجدير بالذكر أن أطفال المؤمنين الذين نتحدث عنهم هنا هم الذين يعتبرهم الخوارج أطفال مشركين.

وأما أطفال المشركين الذين هم عبده الأوثان ومن فى حكمهم فإن العلماء اختلفوا فيهم اختلافاً كثيراً.

1. فذهب بعضهم إلى التوقف فلا يحكم لهم بجنة ولا نار وأمرهم إلى الله.

2. أنهم فى النار.

3. أنهم فى الجنة.

4. أنهم فى منزلة بين المنزلتين، أى الجنة والنار.

5. أن حكمهم حكم آبائهم فى الدنيا والآخرة، تبعاً لآبائهم حتى ولو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهم لم يحكم لأطفالهما بالنار.

6. أنهم يمتحنون فى عرصات القيامة بطاعة رسول يرسله الله إليهم، فمن أطاعه منهم دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

وقد استعرض ابن القيم أدلة القائلين بهذه الآراء وانتهى إلى نصره الرأى الأخير ثم قال: "وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله

³ () الطور: 21، وانظر: تفسير ابن كثير 4/241.

الذى أحال عليه النبى ﷺ حيث قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين)".

وأيد ابن حزم القول بأن أطفال المشركين فى الجنة، وكذا النووى، وقد توقف شيخ الإسلام فى الحكم عليهم.

وأما استباحة قتل النساء والذرية - كما يرى الخوارج - فقد أخطأوا حين جوزوا ذلك سواء كانوا من المسلمين أو من المشركين، فقد صحت الأحاديث بالمنع من قتلهم، إلا أن يكون ذلك فى بيات لا يتميز فيه الأطفال والنساء فلا بأس من قتلهم إذا وقع دون عمد⁽¹⁾.

¹ () انظر: التفسير القيم ص 451، فتح القدير 5/98، جامع البيان 27/25، طريق الهجرتين 387، الفصل لابن حزم 4/74.

الخوارج فى الميزان (1)

وهذا الباب يتعلق بما لهم وما عليهم فى نقاط يسيرة.

الغلو فى الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بأهداب الدين وتطبيق أحكامه كاملة، والابتعاد الشديد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع فى أى معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة فى هذه الطائفة، لا يدانيهم فى ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ **(يقراءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء)** (2) الحديث.

وقال عبد الله بن عباس -رضى الله عنهما- يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: "دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود

1 () انظر كتاب الخوارج - دراسة ونقد لمذهبيهم - إعداد ناصر بن عبد الله ***.

2 () رواه مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي 7/171 كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج - أبو داود 4/244 كتاب السنة، مسند الإمام أحمد - 1/92.

وأيايديهم كأنها ثفن⁽¹⁾ الإبل، وعليهم قمص مرحضة⁽²⁾ مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر"⁽³⁾.

وعن جندب الأزدي: قال: "لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فانتبهنا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن"⁽⁴⁾.

هذا حال الخوارج: فقد كانوا أهل صوم وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد⁽⁵⁾ حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة⁽⁶⁾ مثلاً وقد مر معنا بيان ذلك.

ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً فإنه كافر مشرك مخلد في النار⁽⁷⁾ وكذلك أيضاً ما سبق بيانه من رأيهم في الخروج على الأئمة حيث رأوا الخروج على الإمام

1 () الثفن جمع ثفنة: ركة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك.

2 () قال ابن الأثير: رحمه الله - (وعليهم قمص مرحضة: أي مغسولة) النهاية في غريب الحديث والأثر (2/208).

3 () تلبيس إبليس - ص 91.

4 () تلبيس إبليس - ص 93.

5 () انظر الخوارج في الإسلام - عمر أبو النصر - ص 43.

6 () انظر نوارد الأصول - محمد الحكيم الترمذي ص 54.

7 () انظر الفصل - ابن حزم 4/191، وانظر الخوارج في الإسلام - عمر أبو النصر - ص 44.

ولو لأتفه الأسباب ورأوا أن ذلك من إقامة الدين⁽¹⁾.

كان من نتيجة هذا التشدد الذى خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى أنهم استباحوا دماء مخالفيهم⁽²⁾ ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً⁽³⁾.

لا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والحفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامى تشويهاً غريباً، وهم فى تعمقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن، ولذلك حذر النبى ﷺ عن التعمق والتشدد فى الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: **(هلك المتنطعون)** قالها ثلاثاً⁽⁴⁾.

بهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبنى على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، ويبين هذا قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح الذى يرويه أبو هريرة رضى الله عنه

1 () انظر تلييس إبليس - ابن الجوزى - ص 95.

2 () انظر الشريعة الآجرى: ص 22.

3 () انظر تلييس إبليس - ابن الجوزى - ص 95.

4 () رواه مسلم/ النووى شرح صحيح مسلم 16/220 - كتاب العلم باب هلك المتنطعون، ورواه أبو داود: سنن أبى داود 4/281 كتاب السنة - باب لزوم السنة، ورواه أحمد - المسند 1/386.

أنه قال: **(إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا)** ⁽¹⁾ الحديث.

إن الجهل بالدين بلية عظمى، وهو صفة ذم لا صفة مدح، والجهل ضد العلم وأشد درجات الجهل هبوطاً إذا كان الجاهل لا يعلم أنه جاهل، فهذا هو الجهل المركب، فكيف إذا اعتقد الجاهل أنه أعلم من غيره، فلا شك أن هذا هو منتهى الجهل والحماقة، فإذا كان الأمر كذلك فكيف بمن يقف أمام رسول الله ﷺ ويقول له: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل) والذي قال هذا هو أصل الخوارج وهو: (ذو الخويرة التميمي) فمن أين كان يريد العدل وقد نسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الجور؟ ومن الذي يعدل إذا لم يكن رسول الله ﷺ يعدل؟ وماذا يرجى لهذه الأمة من الخير إذا لم يكن نبيها يعدل؟ وهذا هو ما أجاب به رسول الله ﷺ ذا الخويرة حينما قال مقالته، فقال النبي ﷺ: **(ويلك ومن يعدل إن لم أكن أعدل لقد خبث وخسر إذا لم أكن أعدل)** ⁽²⁾ وقد رُوِيَ (خبث وخسرت) بفتح التاء ورُوِيَ بضمها.

فعلى رواية فتح التاء نسبة الخيبة والخسارة إلى المخاطب ويشمل بقية الأمة إذا لم يكن نبيها يعدل، وبضمها تكون نسبة الخيبة والخسارة إلى المتكلم نفسه وهو النبي ﷺ- لأنه والحالة هذه جائر وحاشاه

¹ () رواه البخاري - فتح الباري 1/93 كتاب الإيمان - باب الدين يسر، ورواه أحمد: المسند 5/69.

² () قد تقدم ذكر هذا الحديث انظر: ص 72.

عن ذلك.

ومن جهالاتهم الشنيعة موقفهم من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -رضى الله عنه- إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة⁽¹⁾ فهل يليق بمسلم قد آمن بالله ودخل في الإسلام طائعا مختارًا لم يخالط إيمانه شك ولا ريب أن يعترف بالكفر عند أمر لا يستوجهه.

ومن جهالاتهم الشنيعة أيضا، أنهم وجدوا عبد الله بن خباب -رضى الله عنه- ومعه أم ولد له حبلى⁽²⁾ فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعليّ -رضى الله عنهما- فأثنى عليهما خيرا، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة⁽³⁾.

ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتخرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره.

فيا للعجب! أتكون الخنازير، أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعى الإسلام⁽⁴⁾!! لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان، نسأل

1 () انظر تلييس إبليس - ابن الجوزى - ص 93 وانظر فتح البارى 12/284.

2 () انظر: تلييس - إبليس - ابن الجوزى - ص 93.

3 () انظر: تاريخ الطبرى 5/82، وانظر فتح البارى: شرح صحيح البخارى 12/283 و297 وانظر: الفرق بين الفرق - البغدادى ص 57.

4 () انظر: فتح البارى - شرح صحيح البخارى 12/285.

الله السلامة والعافية.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا نفى لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنتشر صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة"⁽¹⁾.

وبهذا يتبين لنا أن الجهل كان من الصفات البارزة فى تلك الطائفة التى هى إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يُهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع فى ضده⁽²⁾ كما قال تعالى: **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾**⁽³⁾.

شق عصا الطاعة واستباحة دماء المسلمين وأموالهم:

لما فارق الخوارج جماعة المسلمين تميزوا بأراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذى لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج

1 () فتح البارى شرح صحيح البخارى 12/301.

2 () انظر نواذر الأصول - محمد الحكيم الترمذى - ص 54.

3 () الكهف: 103، 104.

من الدين فى زعمهم فأوجبوا البراءة منه. بل إن منهم من غلا فى ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم⁽¹⁾.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وظهرت الخوارج بمفارقة أهل الجماعة واستحلال دمائهم وأموالهم"⁽²⁾.

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم⁽³⁾.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالا لم يفعلها غيرهم"⁽⁴⁾.

هذا موقفهم من عامة المسلمين. وأما موقفهم من الولاة، فقد شقوا عصا الطاعة وسعوا فى تفريق كلمة المسلمين يوضح هذا موقفهم مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب -رضى الله عنه- حيث تخلوا عنه وخالفوه فى أخرج المواقف، وعصوا أمره، وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل طالبوه بوقف القتال بعدما شارف جيشه على الانتصار على أهل الشام، بل إنهم ربما هددوه بالقتل إذا لم يوقف القتال،

1 () انظر منهاج السنة النبوية - ابن تيمية 3/62.

2 () كتاب النبوات - ابن تيمية ص 129، وانظر المغنى - ابن قدامة 3/105.

3 () انظر الفرق بين الفرق -البغدادى- ص 57.

4 () البداية والنهاية 3/294.

فبعث إلى قائده يأمره بوقف القتال⁽¹⁾.

صلابتهم وحماسهم لمبدئهم:

لقد امتازت الخوارج بصفات طيبة وخصال حميدة، غير أنها لم تكتف في تلك الصفات عند الحد المعقول، بل تجاوزته إلى درجة التهور، ومجاوزة الحد توقع في الضد.

فمن تلك الصفات، حماسهم لمبدئهم وتعصبهم لعقيدتهم فقد كانوا من أخلص الناس لعقيدتهم، ومن أبسل الناس في الدفاع عنها⁽²⁾، غير أن ذلك الإخلاص كان يصاحبه الانحياز لناحية معينة فلم يسلم من التعصب ولا من التعمق، ولذلك كانت هذه الفرقة من أشد الفرق دفاعاً عن مذهبها، وحماسة لآرائها⁽³⁾، مما جعلهم يندفعون وراء فكرتهم غير مباليين بما ينالهم في سبيلها⁽⁴⁾، من قتال أو طرد أو اضطهاد، ولذلك صار الخوارج رجالاً ونساءً مثلاً في الشجاعة والجرأة، والمتبع لتاريخهم يجد ألواناً من البطولة والتضحيات فقد كانت الفئة القليلة منهم تتصدى للجيوش العظيمة فلا ينالون منها إلا بعد عناء وزحوف ومعارك

1 () انظر البداية والنهاية 4/247، وانظر مقالات الإسلاميين - الأشعري 1/13.

2 () انظر الخوارج في الإسلام - عمر أبو النصر - ص 46.

3 () انظر المذاهب الإسلامية - محمد أبو زهرة - ص 98.

4 () انظر دراسات في الفلسفة الإسلامية - عبد اللطيف محمد العبد ص 154.

كثيرة دامية⁽¹⁾.

وهذا كله نابع من اعتقادهم أن مذهبهم هو الحق الذى لا يجوز غيره، ولا يقبل الله دينًا سواه، ومن أخل بشيء من تعاليمه، فلا حظ له من الدين. الأمر الذى جعل من المستحيل أن يلتقوا مع أحد من المسلمين فى فكرة أو رأى، ولذا كان قبول الأعذار من مخالفهم شيئاً غريباً عن منهجهم وطبعهم⁽²⁾.

ولهذا كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان⁽³⁾ كما أخبر بذلك النبى ﷺ فى الحديث الآتى قريباً إن شاء الله.

حكمهم فى نظر علماء الإسلام:

عرفنا فيما تقدم من هذا البحث شيئاً من صفات الخوارج وشيئاً مما يمكن أن يقال عنهم من مدح أو ذم، ومن ذلك أنهم كانوا أهل عبادة، نعم، فقد كانوا مداومين على الصلاة والصيام وقراءة القرآن، وقد شهد لهم النبى ﷺ بذلك حيث قال: **(تحقرون**

¹ () انظر الخوارج فى الإسلام - عمر أبو النصر ص 89، وانظر - فتح البارى 12/291.

² () انظر دراسات فى الفلسفة الإسلامية - عبد اللطيف محمد العبد ص 154 وانظر تلييس إبليس - ابن الجوزى - ص 95، وانظر منهاج السنة النبوية - ابن تيمية 3/60-61.

³ () انظر كتاب النبوات - ابن تيمية ص 131.

**صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم،
وعملكم مع عملهم، يقرءون القرآن لا يجاوز
حناجرهم** ⁽¹⁾ الحديث.

وشهد لهم التاريخ بذلك، فمن قرأ تاريخهم وسيرهم عرف ذلك عنهم، ولكنهم مع هذا كله يحملون قلوباً عمياً وأذاناً صمّاً، ونفوساً شريرة، أبعدتهم عن الحق وصدتهم عن الهدى حتى أصبحوا فى معزل عن الإيمان وأهله، وظنوا أن ما معهم هو الحق، وتأولوا القرآن على ما تمليه عليهم نفوسهم ⁽²⁾ حتى عمدوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين.

ولذلك (كان ابن عمر -رضى الله عنهما- يراهم شرار خلق الله، وقال: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين) ⁽³⁾).

لهذا حذرنا منهم النبى ﷺ وإن ظهر منهم ما ظهر من العبادة، كما حذرنا منهم صحابته -رضوان الله عليهم- بل حذرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ممن تكون فيه تلك الصفات ⁽⁴⁾: فقال تعالى: **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون**

1 () متفق عليه - انظر فتح البارى 9/99 وقد سبق ذكره.

2 () انظر كتاب الشريعة - محمد بن الحسين الآجرى - ص 21.

3 () فتح البارى - شرح صحيح البخارى 12/282.

4 () انظر كتاب الشريعة - محمد بن الحسين الآجرى - ص 21.

صنعاً⁽¹⁾.

ولهذا اتفقت الأمة قديماً وحديثاً على ذم الخوارج وتضليلهم وأنهم قوم سوء وعصاة لله عز وجل، ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة⁽²⁾ لأنهم كانوا في هذا كله يعملون بما يرضى أنفسهم لا بما يرضى الله ورسوله.

فقد أخرجهم الشيطان من الدين عن طريق التعمق والزيادة لا عن طريق التفريط والتقصير، وذلك أنهم لم يلتزموا حدود الشريعة فيما أتوه من العبادة، بل تجاوزوا ذلك حتى خرجوا من الدين، وهذا هو المروق الذي وصفهم به النبي⁽³⁾ ﷺ حيث قال: **(يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)**⁽⁴⁾

وقال عليه الصلاة والسلام في ذي الخويصرة حينما طلب عمر ابن الخطاب منه أن يأذن له في قتله. فقال: **(دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)**⁽⁵⁾.

1 () الكهف: 103، 104.

2 () انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام - ابن تيمية 28/218 وانظر: الشريعة للأجرى - ص 21.

3 () انظر ملخص تاريخ الخوارج: محمد شريف سليم - ص 121 - 122.

4 () متفق عليه: فتح الباري 12 / 283 وقد سبق ذكره.

5 () متفق عليه: صحيح مسلم بشرح النووي 7/165 وقد

وقد ثبت هذا عند عامة علماء المسلمين، فأجمعوا على الحكم بفسق الخوارج وضلالتهم. وفيما يلي سوف أذكر إن شاء الله حكمهم عند علماء المسلمين، وذلك من ناحيتين:
الأولى: حكم قتالهم.
الثانية: حكم تكفيرهم.

حكم قتال الخوارج:

لقد تقدم في هذا البحث ذكر الخوارج وصفاتهم وما ورد فيهم عن رسول الله ﷺ وعرفنا شيئاً مما أحدثوه في الإسلام. فهؤلاء لا شك في وجوب قتالهم وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

فمن كتاب الله قوله تعالى: **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله** (1) الآية.

فهذا أمر واضح يدل على وجوب قتال الفئة الباغية حتى تفيء وترجع إلى جماعة المسلمين، والخوارج حينما ظهروا فارقوا جماعة المسلمين وبغوا عليهم وناصبوهم العداة فوجب قتالهم.

وهكذا كلما خرجوا في أي فترة من التاريخ فقتالهم

سبق أيضاً.

1 () الحجرات: 9.

واجب بكتاب الله. وقد دلت السنة على وجوب قتال الخوارج، وقد استفاضت عن النبي ﷺ الأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم، وهى أحاديث ثابتة فى الصحيحين وغيرهما:

من ذلك ما رواه على ابن أبى طالب -رضى الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)**⁽¹⁾.

بهذا الحديث ونحوه استدل من يرى جواز قتلهم ابتداء وإن لم يبدءوا بحرب، وهذا إذا أظهروا بدعتهم، وكذلك استدل به على جواز قتل المقدور عليه منهم.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحروية والرافضة ونحوهم، فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم"⁽²⁾.

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: (والصحيح إن شاء الله أن الخوارج يجوز قتلهم ابتداء والإجهاز على

¹ () متفق عليه والرواية للبخارى، وانظر فتح البارى 9/99، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى 7/169 وقد سبق ذكره فى الباب الأول.

² () فتاوى شيخ الإسلام 28/499.

جريحهم لأمر النبي ﷺ بقتلهم ووعدته بالثواب لمن قتلهم⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (اتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها)⁽²⁾.

وإنما وجب قتال الخوارج لإفسادهم أمر المسلمين، وتفريق كلمتهم وإضعافهم أمام عدوهم، قال ابن هبيرة "إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى"⁽³⁾.

حكم تكفير الخوارج:

لقد اتفقت الأمة على ذم الخوارج وتضليلهم، وعلى وجوب قتالهم، وأما التكفير فإن مسألته صعبة جداً، ما لم يكن سببه ظاهراً صريحاً أما إذا لم يكن الأمر كذلك فإن مسألة التكفير أو عدمه مسألة من أشد المسائل إشكالا: إذ أن إخراج أحد من الإيمان بغير يقين أمر عظيم، وكذا إدخال أحد من الكفار في الإسلام وعده من المؤمنين والحال أن حقيقته الكفر هو أيضاً أمر عظيم وخطير، ومن أجل هذا وقع الخلاف في تكفير الخوارج وغيرهم من أهل البدع

1 () المغنى - ابن قدامة 8/107.

2 () مجموع فتاوى شيخ الإسلام - ابن تيمية 28/512، وانظر - ص 513، وانظر كتاب النبوات لابن تيمية - ص 129 - 130.

3 () فتح الباري شرح صحيح البخارى 12/301.

المظهرين للإسلام.

والمشهور في ذلك قولان للعلماء: فمنهم من جعلهم بغاة حكمهم حكم أهل البغي، ومنهم من أحقهم بالمرتدين وحكم بكفرهم⁽¹⁾.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

1 () انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 7/160 وانظر

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28/500، 518 وانظر

فتح الباري شرح صحيح البخارى 12/285، 300.

2 () انظر فتح الباري شرح صحيح البخارى 12/300.

3 () انظر فتح الباري 12/300، وانظر شرح النووي على

صحيح مسلم 7/160 وانظر فتاوى ابن تيمية 28/501.

4 () انظر فتح الباري 12/300.

5 () انظر فتح الباري 12/300.

وفى رواية ثانية **(يمرقون من الإسلام)** ⁽¹⁾ وفى
أخرى **(يمرقون من الدين)** ⁽²⁾.

ووجه استدلالهم فى الحديث حيث شبه خروج
الخوارج من الدين بمروق السهم من الرمية سابقاً
للفرث والدم حتى لا يعلق به شىء من ذلك فكذلك
الخوارج ليس فى قلوبهم شىء من الدين.

ثالثاً: واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام فى
الخوارج **(لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)**، وفى
رواية **(لأقتلنهم قتل ثمود)** ⁽³⁾، وكل منهم إنما
هلك بالكفر وعلى هذا فالخوارج كفار مثلهم.

رابعاً: كفرهم بعض العلماء لتكفيرهم أصحاب
رسول الله ﷺ وكما حكموا بالكفر على كل من خالف
معتقدهم فكانوا هم أحق بالاسم منهم، ولأن تكفير
أصحاب رسول الله ﷺ يتضمن تكذيبه فى شهادته لهم
بالجنة ومن كذب الرسول فهو كافر ⁽⁴⁾.

خامساً: استدلوا بقوله ﷺ فى الخوارج **(هم شر
الخلق أو من أشر الخلق يقتلهم أدنى
الطائفين إلى الحق)** ⁽⁵⁾، فدل هذا على أنهم كفار

1 () نفس المرجع 7/162، فتح البارى 12/290.

2 () نفس المرجع السابق 7/163، فتح البارى 12/283،
290.

3 () قد سبق تخريج هذا الحديث، انظر ص 210.

4 () انظر فتح البارى 12/299 - 300 وانظر التبصير فى
الدين الأسفرايينى ص 146.

5 () رواه مسلم: انظر صحيح مسلم بشرح النووى 7/167
وقد سبق تخريجه فى الباب الأول.

إذ لا يمكن أن يكون أشر الخلق من المسلمين⁽¹⁾.

_____ .

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم⁽³⁾، ولا تخلو فرقة من الثنتين والسبعين، من المؤمنين وإن كان فيهم ضلال ولهم ذنوب⁽⁴⁾.

وفرقة الخوارج ولا شك هي إحدى تلك الفرق ولا شك أن من بدعهم ما هو كفر، ولكن لا يخلو أن يوجد فيهم من لا يعتقد تلك البدع المكفرة ولا يقول بها، كما أنه قد يوجد فيهم المتأول وإن كان تأويله

1 () انظر شرح النووي على صحيح مسلم 7/167، وانظر فتح الباري 12/299.
2 () انظر فتح الباري 12/300، 301.
3 () الحشر: 10.
4 () انظر منهاج السنة النبوية 3/60.

فاسداً⁽¹⁾. وهذا مثل تكفيرهم للمسلمين سواء من الصحابة أو من دونهم، فهم قد بنوا أقوالهم على مقدمات باطلة، حيث بالغوا في التشدد فحكموا على مرتكب المعصية بالكفر وربما اتهموا بالذنب من لم يفعله حتى وقعوا فيما وقعوا فيه من استباحة دماء المسلمين ورميهم بالكفر⁽²⁾.

وعدم القول بتكفير الخوارج لا ينافي الحديث: **(إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)** والخوارج قد كفروا بعض المسلمين ونحن لا نقول إن من كفر المسلم فإنه لا يكفر لكننا قد لا نستطيع الجزم بأن فلانا كافر لعدم ظهور ما نتيقن به كفره وإن كان هو عند الله كافراً.

وأما قول الرسول ﷺ **(هم شر الخلق)** فقد حمله من لم يكفرهم علي أن المقصود بذلك شر الخلق أي من المسلمين⁽³⁾ أو أن المقصود بقوله **(هم شر الخلق)** أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة ومع هذا فالصحابه

1 () انظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام 28/500.

2 () انظر فتح الباري 12/300، وانظر رسالة الكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل وحكم من يكفر غيره من المسلمين للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبا بطين - ص 9.

3 () انظر شرح النووى على صحيح مسلم 7/167.

والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله :-

"ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج، أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر -رضى الله عنه- وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضا يحدثوهم ويفتوونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجده الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن، كما يتناظر المسلمان وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق -رضى الله عنه-"⁽²⁾ وقال ابن حجر: "ذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق وأن حكم الإسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام"⁽³⁾.

وقال أيضا: "والذي ينبغي؛ الاحتراز عن التكفير ما وُجِدَ إليه سبيلا"⁽⁴⁾.

1 () منهاج السنة النبوية 3/62.

2 () منهاج السنة النبوية 3/62.

3 () فتح الباري - شرح صحيح البخاري 12/300.

4 () فتح الباري - شرح صحيح البخاري 12/300.

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: "وأكثر الفقهاء على أنهم بغاة ولا يرون تكفيرهم".

قال ابن المنذر ولا أعلم أحدا وافق أهل الحديث على تكفيرهم وجعلهم كالمرتدين. وقال ابن عبد البر فى الحديث الذي روينا: قوله: **(يتمارى فى الفوق)** يدل على أنه لم يكفرهم لأنهم علقوا من الإسلام بشيء بحيث يشك فى خروجهم منه.

وروى عن على (أنه لما قاتل أهل النهروان قال لأصحابه لا تبدءوهم بالقتال وبعث إليهم أقيدونا⁽¹⁾ بعد الله بن خباب، قالوا: كلنا قتله). فحينئذ استحل قتالهم لإقرارهم على أنفسهم بما يوجب قتلهم.

وذكر ابن عبد البر عن على -رضى الله عنه-: (أنه سئل عن أهل النهروان أكفارهم؟ قال من الكفر فروا. قيل فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصبوا وبغوا علينا وقاتلونا فقاتلناهم)⁽²⁾.



1 () أقيدونا: القود هو طلب القصاص.

2 () المغنى - ابن قدامة - 8/106، والأثر المروى عن على رضى اله عنه رواه عبد الرازق فى المصنف 10/150 وابن أبى شبيه فى المصنف 15/332 بسند صحيح ورواه البيهقى فى السنن الكبرى 8/174.

2. الشيعة

مقدمة:

يقول د. غالب عواجي⁽¹⁾:

"والشيعة -كثافة ذات أفكار وآراء- غلب عليهم هذا الاسم وهم من أكذب الفرق على أئمتهم، ومن أخطرها على المسلمين⁽²⁾، وذلك بسبب:

1. استعمالهم التقية المرادفة للكذب.
2. تظاهرهم بنصرة أهل البيت، حيث انخدع بهم كثير من عوام المسلمين⁽³⁾.

1 () انظر كتاب "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام" د. غالب بن علي عواجي ص 166-167.

2 () **يقول إحسان إلهي ظهير في شريط مسجل (عن عقائد الشيعة):**

"الشيعة الآن لهم نشاط كبير في البلاد العربية وغير البلاد العربية وفي البلاد التي فيها أقليات مسلمة، فقد ملأوا العالم بمنشوراتهم ومفترياتهم وأكاذيبهم، لكن قلّ من يدرك هذا الخطر... فلذلك وجب على المسلم الذي يعتقد الاعتقاد الصحيح أن يقف في وجه هذا السيل العارم.

الشيعة الآن تطلق على قوم يختلفون معنا في الأصول، وكثير من الأخوة يفهمون أن اختلافنا معهم كاختلافنا مع المذاهب الأخرى الفقهية، وبعض السدّج يقولون أن اختلافنا في الفروع!، والشيعة الآن لا يستثنى منهم أحد، وهذه اللفظة عندما تطلق الآن لا يراد بها إلا الشيعة الإثني عشرية". أهـ

3 () **ويقول إحسان إلهي ظهير في شريط مسجل أيضاً:**

3. بغضهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم نتج عنها نفور الشيعة وعدم الوصول - بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة- إلى التقارب.

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس أن

"الشيعة كلهم يدَّعون أنهم موالون لأهل البيت ومحبون لهم، وهذه الكلمة استعملوها خداعاً ومكرّاً ليخدعوا بها السذج من الناس، إن كثيراً منا وحتى الخاصة لا يعرفون ماذا يقصدون من وراء لفظة أهل البيت، كثير يفهمون أنهم يقصدون أهل بيت النبي ﷺ! هم يكفِّرون العباس عم النبي ﷺ رضي الله عنه، ويكفِّرون أمهات المؤمنين وهن أهل البيت أصلاً وحقيقة، لأن لفظة أهل البيت لم ترد في القرآن إلا مرتين، وفي المرتين لم ترد هذه اللفظة إلا للأزواج.

في سورة هود: **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ... الآية، أطلقت على زوج ابراهيم عليه السلام.

وفي سورة الأحزاب: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ... الآية.

فأهل البيت حقيقة في الأزواج، وهم قاطبة عن بكرة أبيهم يكفِّرون أزواج النبي ﷺ إلا خديجة رضي الله عنها، وهم لا يطلقون على أزواج النبي ﷺ إلا كلمة اللعن واللعن، وهم متهمون عائشة - رضي الله عنها التي نزلت براءتها في أربعة عشر آية - بالفسق والفجور عياداً بالله.

فهم أكبر أعداء لأهل البيت وهم يدَّعون أنهم محبون لأهل البيت.

يقول الكاشي منهم في كتابه "رجال الكاشي"، وهو من أقدم الكتب عندهم:

في قوله تعالى **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** [الإسراء: 72] يقول: نزلت في العباس. وكذلك يكفِّرون عبد الله بن عباس رضي الله

علياً رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، وأن علياً أحق بها من سائر الصحابة بعهد من النبي ﷺ كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم.

ومن الملاحظ على هذه الفرقة أنها كانت باباً واسعاً لكل طامع في تحقيق أغراضه من أهل

عنهما، ولا يعتقدون بإيمان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إذن فماذا يقصدون من وراء هذا الادعاء؟!!

يقول كبيرهم أو كبير مجرميهم محسن الأمين في كتابه "أعيان الشيعة": "الشيعة قوم يهوون هواء إثرة علي رضي الله عنه وبوالونه وأولاده".

فيقصدون بأهل البيت علي رضي الله عنه وأولاده رضي الله عنهم أجمعين.

ومن الغرائب أيضاً أنهم لا يعدون جميع أولاد علي رضي الله عنه من أهل البيت إلا الحسن والحسين. والمعروف أن علياً رضي الله عنه له أربعة عشر ولداً وثمانية عشرة بنتاً.

وأغرب من ذلك أنهم لا يجعلون فاطمة رضي الله عنها من أهل البيت فلا يعدون أولادها أم كلثوم وزينب من أهل البيت. والحسن عدوه من أهل البيت وأخرجوا أولاد الحسن جميعاً من أهل البيت.

والحسين عدوه من أهل البيت وأخرجوا جميع أولاده من أهل البيت إلا علي بن الحسين الملقَّب بزَيْن العابدين، وعلي بن الحسين يخرجون جميع أولاده من أهل البيت إلا واحداً وهو محمد الملقَّب بالباقر.

ومحمد الباقر يخرجون جميع أولاده من أهل البيت إلا واحداً وهو جعفر (الصادق)، ويخرجون جميع أبناء جعفر من أهل البيت إلا ابنه موسى (الكاظم).

وهكذا حصروا كلمة أهل البيت في الأئمة الإثني عشر المعروفون عندهم". أهـ

الأهواء:

1. إذ تشيع قوم إيماناً بأحقية أولاد علي بالخلافة حسبما سمعوا من النصوص التي لفقها علماء التشيع.

وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي فقاموا بتلك الثورات العديدة التي سجلها علماء الفرق والتاريخ تحت غطاء دعوى التشيع لأهل بيت النبي ﷺ.

وتشيع آخرون للانتقام من الإسلام كالباطنية.

وتشيع قوم لتحقيق مطامع سياسية كالمختار مثلاً.

2. ولأن الشيعة أيضاً لا يتحرون النصوص الصحيحة، ولا يهتمون بإيصال السند إلى النبي ﷺ، لهذا فإن أكثر أحاديثهم رويت عن الأئمة⁽¹⁾.

(1) **ويقول إحسان إلهي ظهير في شريط مسجل أيضاً في معنى الحديث عند القوم:**

"الحديث عندنا ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

والحديث عندهم: كل ما ثبت عن أئمتهم الإثني عشر بما فيهم المولود وغير المولود، والمعدوم والغائب!! فكل ما نقل عنهم فهو حديث عندهم مثل ما نقل عن رسول الله ﷺ.

وهم يعتقدون أيضاً أن القرآن جُرِّفَ وَعَيِّرَ وَبُدِّلَ، نقص منه كثير وزيد فيه، وهذا قولهم جميعاً عن بكرة أبيهم، يقولون إن هذا ثلث القرآن، أما الثلث الباقي فهو محفوظ عند الإمام الغائب.

يقول الكليني في "الكافي"، -وهو عندهم كالبخاري عند أهل السنة- يذكر أن جعفر قال:

"لو وجد القرآن كما أنزل لألفيتنا مُسَمِّين" ، وقال: "أما العترة

3. ولأنهم كذلك أهل عاطفة نحو أهل البيت - فيما يظهرون للناس - فلذا يكفي لتوثيق الشخص عندهم أن يكون ظاهره الغلو في أهل البيت، ويكون بذلك من الثقات الأثبات". أهـ

التأسيس وأبرز الشخصيات:

"الإثنا عشر إماماً الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي⁽¹⁾:"

- 0 **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، الذي يلقبونه **بالمرتضى**، رابع الخلفاء الراشدين وصهر رسول الله ﷺ، وقد مات غيلة حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في 17 رمضان سنة 40هـ.
- 0 **الحسن بن علي** رضي الله عنهما، ويلقبونه **بالمجتبى** (3-50هـ).
- 0 **الحسين بن علي** رضي الله عنهما، ويلقبونه **بالشهيد** (4-61هـ).
- 0 **علي زين العابدين بن الحسين** (38-95هـ)،

فقتلوههم وأما القرآن فحرفوه " كذباً عليه. وقالوا: أن قوله تعالى **لَتَبْتَ يدا أبي لهب وتب** زيادة في القرآن.

وقال إحسان إلهي ظهير:

وقد أوردت في كتاب "الشيعة والقرآن" -الذي مُنِع في البلاد المسلمة المهددة من الخوميني 1200 ألف ومائتان حديث من كتبهم على أن القرآن محرّف ومُغيّر وزيد فيه وتُقص منه كثير.

(1) "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة"، د. مانع بن حماد الجهني، ص 55.

- ويلقبونه بالسَّجَّاد.
- 0 محمد الباقر بن علي زين العابدين (57-114هـ)، ويلقبونه بالباقر.
 - 0 جعفر الصادق بن محمد الباقر (83-148هـ)، ويلقبونه بالصادق.
 - 0 موسى الكاظم بن جعفر الصادق (128-183هـ)، ويلقبونه بالكاظم.
 - 0 علي الرضا بن موسى الكاظم (148-203هـ)، ويلقبونه بالرضي.
 - 0 محمد الجواد بن علي الرضا (195-220هـ)، ويلقبونه بالتقي.
 - 0 علي الهادي بن محمد الجواد (212-254هـ)، ويلقبونه بالنقي.
 - 0 الحسن العسكري بن علي الهادي (232-260هـ)، ويلقبونه بالزكي.
 - 0 محمد المهدي بن الحسن العسكري (256-...هـ)، ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون أن الإمام الثاني عشر قد دخل سرداباً في دار أبيه بسُرٍّ مَنْ رَأَى ولم يعد، وقد اختلفوا في سببه وقت اختفائه فقبل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة، ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم) "أهـ

ويقول د. ناصر القفاري⁽¹⁾:

ومعظم الفرق التي خرجت عن الجماعة ضعف نشاطها اليوم، وفترة حماسها وتقلص اتباعها، وانكفأت علي نفسها، وقلت مناياها لأهل السنة.

أما طائفة الشيعة فإن هجومها على أهل السنة وتجريحها لرجالهم وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيع بينهم يزداد يوماً بعد يوم.

ولعل طائفة الإثنى عشرية هي أشد فرق الشيعة سعيًا في هذا الباب لإضلال العباد إن لم تكن الفرقة الوحيدة التي تكثر من التناول علي السنة والكيد لها على الدوام مما لا تجده عند فرقة أخرى.

وذلك لأسباب منها:

أولاً: أن هذه الطائفة بمصادرها في التلقي وكتبها وتراثها تمثل نحلة كبرى، حتى أنهم يسمون مسائل اعتقادهم: "**دين الإمامية**" لا مذهب الإمامية، وذلك لانفصالها عن دين الأمة، وبحسبك أن تعرف أن أحد مصادرها في الحديث عن الأمة يبلغ مائة وعشرة مجلدات وهو "**بحار الأنوار**" لشيخهم المجلسي (ت 1111هـ).

ثانياً: اهتمام هذه الطائفة بنشر مذهبها والدعوة، وعندها دعاة متفرغون ومنظمون، ولها في كل

¹ () أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ج 1 ص 8 وما بعدها.

مكان - غالباً - خلية ونشاط، وتوجه جل اهتمامها في الدعوة لنحلتها في أوساط أهل السنة، ولا أظن أن طائفة من طوائف البدع تبلغ شأواً هذه الطائفة في العمل لنشر معتقدها والاهتمام بذلك.

وهي اليوم تسعى جاهدة لنشر **مذهبها** في العالم الإسلامي، وتصدير ثورتها، وإقامة دولتها الكبرى بمختلف الوسائل.

وقد تشيع بسبب الجهود المتي يبذلها شيخو الإثنى عشرية الكثير من شباب المسلمين.. ومن يطالع كتاب "عنوان المجد في تاريخ البصرة ونجد" يهوله الأمر، حيث يجد قبائل بأكملها قد تشيعت.

وقد تحولت سفارات دولة الشيعة في إيران إلى مراكز للدعوة إلي مذهبها في صفوف الطلبة والعاملين المسلمين في العالم، وهي تهتم بدعوة المسلمين أكثر من اهتمامها بدعوة الكافرين.

ولا شك أن المسؤولية كبيرة في إيضاح الحقيقة أمام المسلمين، ولاسيما الذين دخلوا في سلك التشيع حباً لأهل البيت واعتقاداً منهم أن هذا الطريق عين الحق وطريق الصدق.

ثالثاً: أن هذه هي الطائفة الشيعية الكبرى في عالم اليوم، وقد احتوت معظم الفرق الشيعية التي وجدت على مسرح التاريخ، حتى قيل بأن لقب

الشيعة إذا أُطلق لا ينصرف إلا إليها.

رابعاً: هذه الفرقة لها اهتمام دَعَائِي في الدعوة للتقارب مع أهل السنة، وقد أقامت المراكز، وأرسلت الدعاة وأنشأت الجمعيات التي ترفع شعار الوحدة الإسلامية.

خامساً: هذه الطائفة تكثر من القول بأن مذهبها لا يختلف عن مذهب أهل السنة، وأنها مظلومة ومفتري عليها، ولها اهتمام كبير بالمدفاع عن مذهبها، ونشر الكتب والرسائل الكثيرة له، وتتبع كتب أهل السنة ومحاولة الرد عليها، مما لا يوجد مثله عند طائفة أخرى.

سادساً: كثرة مهاجمة هذه الطائفة لأهل السنة، ولاسيما صحابة رسول الله ﷺ، وطعنها في أمهات كتب المسلمين، عبر مؤلفاتهم التي يخرج منها سنوياً العشرات من الكتب... كذلك مهاجمتها بعنف وضراوة لكل من يكتب عنها أو يتعرض لمذهبها بالنقد تحت ستار أن هذه الكتابات تعيق التقريب وتعرقل مساعي الوحدة الإسلامية، فانصرفت أكثر الأقلام عن الكتابة عنها.

ولقد كتب أسلافنا عن الإثنى عشرية، وهي التي يسمونها بالرافضة، وكان لمصنفاتهم أثرها، كما في كتابات أبي نعيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والمقدسي، والفيروز آبادي، وما في كتب الفرق والعقيدة، ولكن تلك الكتابات كانت قبل شيوع كتب الشيعة وانتشارها، وجملة منها يحمل صفة الرد على

بعض مؤلفات الشيعة، ولا تدرس الطائفة بعقائدها وأفكارها بشكل شامل.

كما أن الإثنى عشرية لمهارتها في التقيّة قد خفي أمرها حتى نجد في شرح صحيح مسلم القول بأن الإمامية لا تكفر الصحابة، وإنما ترى أنهم أخطأوا في تقديم أبي بكر. ونرى شيخ الإسلام ابن تيمية -على اهتمامه بالمذهب الرافضي ونقده- يقول: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله. بينما هذه القضية تجدها اليوم مقررة في أمهات كتبهم في عشرات الروايات والعديد من الأبواب.

كما أن أهم كتب الشيعة وهو "**أصول الكافي**" لا تجد له ذكراً عند الأشعري أو ابن حزم أو ابن تيمية، وهو اليوم الأصل المعتمد عند الطائفة في حديثها عن الأئمة الذي هو أساس مذهبها.

وأيضاً فإن طبيعة هذا المذهب أنه يتطور من وقت لآخر، ويتغير من جيل لجيل، حتى أن **الممقاني** أكبر شيوخهم في هذا العصر يقول: إن ما يعتبر غلواً عند الشيعة الماضين أصبح اليوم من ضرورات المذهب. هذه الطبيعة المتغيرة تقتضي التعرف على الوجه الحقيقي للإثنى عشرية في عصرنا.

كما أن جل الردود التي تسود المصنفات التي كتبها الأئمة السابقون -رحمة الله عليهم أجمعين- هي على شبهات يثيرها الشيعة من كتب السنة نفسها، فيرد عليها أهل السنة مبينين أن تلك النصوص التي

يتمسك بها الشيعة إما موضوعة وإما ضعيفة، أو بعيدة عن استدلالهم الفاسد.

لكن الشيعة لا تؤمن بكتب أهل السنة كلها أصلاً، وهي تثير هذه الشبهات إلى اليوم **لتحقيق أمرين:**

•0 **الأول:** إشغال أهل السنة بهذه الشبهات، حتى لا يتفرغوا لنقد كتبهم ونصوصهم ورجال رواياتهم.

•0 **الثاني:** إقناع الحائرين والمتشككين من أهل طائفتهم بدعوى أن ما هم عليه من شذوذ هو موضع اتفاق بين السنة والشيعة.

ولكن كتب الشيعة اليوم قد توفرت بشكل لم يعهد من قبل... فينبغي أن تكون من أهم ركائز الدراسة والنقد، **لأن الحجة على كل طائفة إنما تقام بما تصدقه وتؤمن به.**

تعريف الشيعة⁽¹⁾:

التعريف اللغوي:

يقول ابن دريد (المتوفى سنة 321هـ): "فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعة الرجل على الأمر تشبيهاً إذا أعنته عليه، وشايعة الرجل على الأمر مشايعةً وشياًعاً إذا مالته عليه".

1 () أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ج 1 ص 30 وما بعدها.

وقال الأزهري (المتوفى سنة 370هـ):
"والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا
على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة:
قوم يهون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم".

وقال ابن منظور (المتوفى سنة 711هـ):
"والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع
جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع
على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ
واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم علي من
يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإن
قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب
الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة
وهي المتابعة والمطاوعة".

فالشيعة والتشيع والمشايعة في اللغة تدور حول
معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي،
والاجتماع على الأمر، أو الممالة عليه. ثم غلب هذا
الاسم كما يقول صاحب اللسان، والقاموس، وتاج
العروس على كل من يتولى علياً وأهل بيته. وهذه
الغلبة **محل نظر**، لأنه إذا تأمل الباحث في المعنى
اللغوي للشيعة والذي يدل على المتابعة والمناصرة،
ثم نظر إلى أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا
الاسم عليها يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من
الناحية اللغوية، لأنها غير متابعة لأهل البيت على
الحقيقة، بل هي مخالفة لهم ومجافية لطريقتهم ...
ولعل هذا ما لاحظته شريك بن عبد الله حينما سأله

سائل: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي! فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعياً، والله لقد رقى هذه الأعواد علي، فقال ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فكيف نرد قوله، وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذاباً⁽¹⁾.

فالإمام شريك لاحظ أن غير المتابع لعلي لا يستحق اسم التشيع، لأن معنى التشيع وحقيقته المتابعة... ولهذا أثر بعض الأئمة أن يطلق عليهم اسم الرافضة. وقد لجأ المتابعون لأهل البيت على الحقيقة، والذين كانوا يلقبون بالشيعة، لجأوا إلى ترك هذا اللقب لما غلب إطلاقه على أهل البدع المخالفين لأهل البيت، كما يشير صاحب **التحفة الإثني عشرية** إلى ذلك فيقول: "إن الشيعة الأولى تركوا اسم الشيعة لما صار لقباً للروافض والإسماعيلية، ولقبوا أنفسهم بأهل السنة والجماعة".

لفظ الشيعة في القرآن ومعناه:

ومادة شيع وردت في كتاب الله العظيم في اثني عشر موضعاً، وقد أجمل ابن الجوزي معانيها بقوله: "وذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة

¹ () **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** وقد روى عن عليّ من نحو ثمانين وجهاً أنه قال: على منبر الكوفة خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ورواه البخاري وغيره. انظر منهاج السنة: 4/137، وقد جاء ذلك في كتب الشيعة أيضاً. انظر تلخيص الشافعي: 2/428 عن إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت ص 52.

أوجه:

أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾**⁽¹⁾، وقوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأُولِينَ﴾**⁽²⁾، وقوله: **﴿وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾**⁽³⁾، وقوله: **﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾**⁽⁴⁾.

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: **﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾**⁽⁵⁾ أراد من أهله في النسب إلى بني إسرائيل.

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾**⁽⁶⁾، وقوله: **﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾**⁽⁷⁾، وقوله: **﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾**⁽⁸⁾، وقوله: **﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾**⁽⁹⁾.

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: **﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾**⁽¹⁰⁾.

1 () الأنعام: 159.

2 () الحجر: 10.

3 () القصص: 4.

4 () الروم: 32.

5 () القصص: 15.

6 () مريم: 69.

7 () القمر: 51.

8 () سبأ: 54.

9 () الصافات: 83.

10 () الأنعام: 65. وزاد الدامغاني وجهاً خامساً وهو: الشيع والإشاعة، واستشهد له بقوله سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ**

ويشير **ابن القيم** -رحمه الله تعالى- في نص مهم له إلى أن لفظ الشيعة، والأشباع غالباً ما يستعمل في الذم، ويقول: ولعله لم يرد في القرآن إلا كذلك كقوله تعالى: **ثم لنزعين من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً**⁽¹⁾، وكقوله: **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً**، وقوله: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشيعاهم من قبل**، ويعلل ابن القيم لذلك بقوله: وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشيع، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم⁽²⁾.

هذه ألفاظ الشيعة في كتاب الله ومعانيها، وهي لا تدل على الاتجاه الشيعي المعروف، وهذا أمر يدرك بدهاءة، لكن الغريب في الأمر أن نجد عند الشيعة إتجاهاً يحاول ما وسعته المحاولة أو الحيلة أن يفسر بعض ألفاظ الشيعة الواردة في كتاب الله بطائفته، ويؤول كتاب الله على غير تأويله، ويحمل الآيات ما لا تحتمل تحريفاً لكتاب الله وإلحاداً فيه، فقد جاء في

تشيع الفاحشة في الذين آمنوا النور: 19، يعني أن تفشو الفاحشة، والوجه الثاني الذي استدل له ابن الجوزي بآية القصص، استدل بها نفسها الدامغاني أن من معاني الشيعة: الجيش، واتفقا فيما سوى ذلك من المعاني.

() مريم: 69.

() بدائع الفوائد 1/155، وهذا في الغالب لأنه ورد في القرآن **وإن من شيعته لإبراهيم**.

أحاديثهم في تفسير قوله سبحانه: **﴿وإن من شيعة لإبراهيم﴾**⁽¹⁾ قالوا أن إبراهيم من شيعة علي⁽²⁾. وهذا مخالف لسياق القرآن وأصول الإسلام، وهو نابع من عقيدة غلاة الروافض الذين يفضلون الأئمة على الأنبياء، فهذا التأويل أو التحريف يجعل خليل الرحمن أفضل الرسل والأنبياء بعد محمد ﷺ يجعله من شيعة علي... وهو أمر يعرف بطلانه من الإسلام بالضرورة، كما هو باطل بالعقل والتاريخ ... وهو من وضع وضاع لا يحسن الوضع ... ولا يعرف كيف يضع.

والذي قاله أهل السنة في تفسير الآية والمنقول عن السلف أن إبراهيم من شيعة نوح عليه السلام وعلى منهاجه وسنته، وهذا التفسير هو الذي يتمشى مع سياق الآية، لأن الآيات التي قبل هذه الآية كانت في نوح عليه السلام، ويلاحظ أن من مفسري الشيعة من أخذ بقول أهل السنة، وأعرض عما قاله قومه في تأويل الآية.

لفظ الشيعة في السنة ومعناه:

ورد لفظ الشيعة في السنة المطهرة بمعنى الأتباع، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد

1 () الصافات: 83.

2 () البحراني/ تفسير البرهان: 4/20، وانظر: تفسير القمي: 2/323، والمجلسي/ بحار الأنوار: 13-68/12، عباس القمي/ سفينة البحار: 1/732، البحراني/ المعالم الزلفى ص 304، الطريحي/ مجمع البحرين: 2/356، وقد نسبوا هذا التفسير -كذباً وافتراءً- إلى جعفر الصادق، ودينه وعلمه ينفيان ذلك.

في الرجل الذي قال للنبي -ﷺ- : لم أرك عدلت ... ، قال فيه عليه الصلاة والسلام: **"سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه"** ... الحديث⁽¹⁾، وكذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داود في المكذبين بالقدر وفيه: **"وهم شيعة الدجال"**⁽²⁾.

فالشيعية هنا مرادفة للفظ الأصحاب، والأتباع، والأنصار.

ومن خلال مراجعتي لمعاجم السنة لم أر استعمال لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة بهذا الاسم إلا ما جاء في بعض الأخبار الضعيفة أو الموضوعية والتي جاء فيها لفظ الشيعة كدلالة على أتباع علي مثل حديث: **"فاستغفرت لعلي وشيعته"**⁽³⁾، وحديث: **"مثلي كمثل شجرة أنا أصلها، وعلي فرعها..."**

1 () مسند احمد 5-12/3-2/219]، قال عبد الله بن الإمام أحمد : ولهذا الحديث طرق في هذا المعنى صحاح، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواه ابن أبي عاصم في السنة 2/454 قال الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات.

2 () سنن أبي داود 5/67]4692 من حديث حذيفة]، قال المنذري: وفي إسناده عمر مولى غفرة لا يحتج بحديثه، ورجل من الأنصار مجهول، (المنذري): مختصر أبي داود 7/61، ورواه أيضاً الإمام أحمد 5/407]وضعفه الألباني في السنة 329، ولكن حسن أصل الحديث دون هذه اللفظة من حديث جابر وحديث ابن عمر، انظر السنة 328].

3 () قال العقيلي: لا أصل له، وذكره الكتاني من الأحاديث الموضوعية: (تنزيه الشريعة 1/414).

والشيعة ورقها"⁽¹⁾، وحديث: أنه قال لعلي:
"أنت وشيعتك في الجنة"⁽²⁾.

وقد ورد في بعض الأخبار أنه سيظهر قوم يدعون التشيع لعلي يقال لهم **الرافضة**، فقد روى الإمام ابن أبي عاصم أربع روايات في ذكر الرافضة، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لأسانيدها بأنها ضعيفة⁽³⁾. وقد أخرج الطبراني - بإسناد حسن كما يقول الهيثمي - أن النبي ﷺ قال: **"يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبر، يسمون الرافضة، قاتلوهم فإنهم مشركون"**.

وقد نبّه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة، لأن اسم الرافضة لم يعرف إلا في القرن الثاني. وفي ظني أن هذا لا يكفي في الحكم بكذب الأحاديث، إذ لو صحت أسانيدها لكانت من باب الإخبار بما سيقع، وأن الله أخبر نبيه بما سيكون من ظهور الروافض، كما أوحى الله إليه بشأن ظهور فرقة الخوارج، وإن كانت بذرة الخوارج وجدت في حياته ﷺ.

1 () أورده ابن الجوزي في الموضوعات: 1/397، والشوكاني في الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعية ص 379.

2 () وهو حديث موضوع، انظر ابن الجوزي/ الموضوعات: 1/397، والذهبي/ ميزان الاعتدال: 1/421، ترجمة جميع بن عمر بن سوار، والشوكاني/ الفوائد المجموعة ص: 379.

3 () هذه الروايات كلها في ذم الروافض، انظر السنة: 978، 979، 980، 981.

للفظ الشيعة كالمصطلح يدل على فرقتهم،
وعقيدتهم، وأئمتهم، ذلك أنهم يزعمون أن رسول
الله ﷺ هو الذي غرس بذرة التشيع وتعهدها بالسقي
حتى نمت وأينعت⁽¹⁾ ... بل وصل بهم الأمر في هذا
إلى وضع روايات تدل على أن لفظ الشيعة -
كمصطلح لطائفهم- معروف قبل زمن رسالة نبينا
محمد ﷺ، فقد جاء في أحاديثهم في تفسير قوله

سبحانه: **«وإن من شيعته لإبراهيم ﷺ أي: أن
إبراهيم من شيعة علي، بل بلغ بهم الزعم إلى القول:
"أن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي، وأخذ عهد
النبيين على ولاية علي" وأن "ولاية علي مكتوبة في
جميع صحف الأنبياء"»⁽²⁾. إلى آخر هذه الدعاوى
وسياتي بسط ذلك في نشأة التشيع.**

لفظ الشيعة في التاريخ الإسلامي:

في الأحداث التاريخية في صدر الإسلام وردت لفظ
الشيعة بمعناه اللغوي الصرف، وهو المناصرة
والمتابعة، بل إننا نجد في وثيقة التحكيم بين الخليفة

1 () ففي أصول الكافي في مسألة النص على الأئمة من الله
ورسوله والأئمة -كما يزعمون- ذكر ثلاثة عشر بابا ضمنها مائة
وعشرة أحاديث (أصول الكافي: 328-1/286).

2 () البحراني/تفسير البرهان: 1/26- أصول الكافي: 1/437.

علي، ومعاوية - رضي الله عنهما - وورد لفظ الشيعة بهذا المعنى، حيث أطلق على أتباع علي شيعته، كما أطلق على أتباع معاوية شيعته، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع علي، ومما جاء في صحيفة التحكيم: "هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما... (ومنها): وأن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمر بن العاص... (ومنها): فإذا توفي أحد الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه. (ومنها): وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلاً يرضون عدله"⁽¹⁾.

وقال حكيم بن أفلح رضي الله عنه: "لأنني نهيتها - يعني عائشة - أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً"⁽²⁾. وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا النص، ليأخذ منه دلالة تاريخية على عدم اختصاص علي باسم الشيعة في ذلك الوقت⁽³⁾.

وجاء في التاريخ أن معاوية قال لبسر بن أرطاة حين وجهه إلى اليمن: "أمض حتى تأتي صنعاء فإن لنا

1 () الدينوري / الأخبار الطوال ص 194-196، وانظر تاريخ الطبري: 54-5/53، محمد حميد الله / مجموعة الوثائق السياسية ص: 281-282.

2 () هذا جزء من حديث طويل في صحيح مسلم في باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: 2/168، 170.

3 () انظر: منهاج السنة: 2/67 (تحقيق د. محمد رشاد سالم).

بأنقطاعهم إليه والقول بإمامته".
ويوافقه على هذا التعريف شيخهم

النوبختي⁽²⁾ حتى في الألفاظ نفسها.
2. التعريف الثاني:

يقول شيخ الشيعة وعالمها في زمنه المفيد⁽³⁾ بأن لفظ الشيعة يطلق على "...أتباع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل،

1 () سعد بن عبد الله القمي هو عند الشيعة جليل القدر، واسع الأخبار، له كثير من التصنيف، ثقة. من كتبه: الضياء في الإمامة، ومقالات الإمامية. توفي سنة 301هـ، وقيل 299هـ.

2 () الحسن بن موسى النوبختي (أبو محمد متكلم، فيلسوف، قال الطوسي: كان إمامياً حسن الاعتقاد، له مصنفات كثيرة منها: كتاب الآراء والديانات. أنظر الذهبي/ سير أعلام النبلاء 15/327.

3 () محمد بن محمد بن عمران العكبري الملقب بالمفيد، نال في زعمهم شرف مكاتبة مهديهم المنتظر، وله قريب من مائتي مصنف. قال الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة الضلال. هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه. ومات سنة 413هـ.

ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة، وجعل الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء". ثم يذكر أنه يدخل في هذا التعريف الإمامية والجارودية⁽¹⁾ الزيدية، أما باقي فرق الزيدية فليسوا من الشيعة، ولا تشملهم سمة التشيع.

3. التعريف الثالث للشيعة:

وإذا كان المفيد لا ينص في تعريفه للتشيع على مسألة النص والوصية، فإننا نرى شيخهم الطوسي يربط وصف التشيع بالاعتقاد بكون عليٍّ إماماً للمسلمين بوصية من الرسول ﷺ وبإرادة من الله. فالطوسي هنا يجعل الاعتقاد بالنص هو أساس التشيع، ولهذا يخرج الطوسي السليمانية⁽²⁾ الزيدية

1 () **الجارودية:** فرقة من فرق الزيدية وتنسب إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني الأعمى الكوفي. قال عنه أبو حاتم: كان رافضياً، يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم... ومن مقالة الجارودية: أن رسول الله ﷺ نص على عليٍّ رضي الله عنه بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره... انظر في أبي الجارود والجارودية: رجال الكشي ص 151، 229، 230) وهي ست روايات في ذمه تضمن بعضها كونه كذاباً كافراً، ومع ذلك فمفيدهم ينظمه في سلك التشيع، لأن التشيع في تعريفه هو هذا الغلو). انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب: 3/386، والبغدادي، الفرق بين الفرق: ص 30، والأشعري، مقالات الإسلاميين: 1/140.

2 () **السليمانية:** فرقة من فرق الزيدية تنسب إلى سليمان بن جرير الزيدي، وهي تسمى بالسليمانية عند كثير من أصحاب الفرق. انظر: مقالات الإسلاميين 1/143، اعتقادات فرق المسلمين ص 78، الملل والنحل: 1/159، التبصير في

من فرق الشيعة لأنهم لا يقولون بالنص، بل يقولون: "إن الإمامة شورى، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها قد تصلح في المفضول.. ويشتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، ولم يخرجوهم من دائرة التشيع فحسب، بل اعتبروهم **نواصب**. ولم يكتفوا بذلك فقد جاء في رجال الطاشي أن الزيدية شر من النواصب⁽¹⁾.

ويلاحظ أن مسألة النص هي محل اهتمام الشيعة البالغ في القديم والحديث، فنرى مثلاً في القديم شيخهم الكليني يعقد في كتابه الكافي ثلاثة عشر باباً في مسألة النص على الأئمة يضمنها مائة وتسعة أحاديث، ونرى في الحاضر أحد الروافض يؤلف كتاباً في ستة عشر مجلداً في حديث من أحاديثهم التي يستدلون بها على ثبوت النص على عليٍّ وهو **حديث الغدير**، ويسمي كتابه باسم الغدير⁽²⁾، فلا غرابة في أن يربط الشيعة وصف التشيع بقضية النص، لكن الملفت للنظر أن هذا الاهتمام والمبالغة يسري في

الدين ص 17.

1 () **والنواصب**: هم قوم يدينون ببغض عليٍّ رضي الله عنه (ابن منظور/ لسان العرب 1/762)، ولكن الروافض تذهب في مفهوم النصب مذهباً آخر - كما ترى - حتى تجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصباً (مجموع فتاوى شيخ الإسلام 5/112) بل من قدم أبا بكر على عليٍّ فهو ناصبي (ابن إدريس/ السرائر ص 471، الحر العامل/ وسائل الشيعة 6/341-342).

2 () كتاب الغدير لشيخهم المعاصر: عبد الحسين الأميني النجفي، وهو مليء بالأكاذيب والطامات والكفر البواح. انظر مسألة التقريب بين السنة والشيعة للمؤلف ص 66 وما بعدها.

كل عقائدهم التي هي محل استنكار وتكذيب من جمهور المسلمين، فتراهم في كل عقيدة من هذه العقائد التي هذا شأنها، يجعلونها هي عمود التشيع وأساسه، ويبالغون في إثباتها، ولكن حينما يعرّف شيوخهم التشيع لا يذكرون هذه العقائد في التعريف، مع أنهم يعلقون الوصف بالتشيع على الإيمان بها، ولا تشيع بدونها، كمسألة الرجعة مثلاً، قالوا في أحاديثهم: "ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا". ومع ذلك لا ترى لها ذكراً في تعريف التشيع، وكذلك مسألة العصمة، والإيمان بخلافة ولد عليّ وغيرها، بل تجد هذه المبالغة حتى في مسائل الفقه وقضايا الفروع كمسألة المتعة، قالوا: "ليس منا من لم يستحل متعتنا". فالقوم ليسوا على منهج واضح سليم في ذلك.

ب. تعريف الشيعة في المصادر الأخرى:

1. تعريف الأشعري للشيعة:

ولعل من أقدم من عرّف الشيعة من أصحاب المقالات والفرق (من غير الشيعة) الإمام الأشعري حيث قال: "إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً رضي الله عنه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ⁽¹⁾".

2. تعريف ابن حزم:

¹ () مقالات الإسلاميين 1/65.

قال: "ومن وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً".

ولكن من يقرأ كلام الشيعة عن عقائدهم كالإمامة، والعصمة، والتقية وغيرها يرى أنهم يغالون في كل عقيدة من عقائدهم بحيث يربطون وصف التشيع بالإيمان بتلك العقيدة - كما سلف - ولعل هذا هو ما لاحظته الشهرستاني حينما قدم لنا تعريفاً للشيعة يعتبر من أجمع التعاريف لأصول التشيع وأكثرها شمولاً.

3. تعريف الشهرستاني⁽¹⁾:

يقول الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز

¹ () محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتوح المعروف بالشهرستاني. قال السبكي: كان إماماً مبرزاً مقدماً في علم الكلام والنظر، برع في الفقه والأصول والكلام، ومن تصانيفه: الملل والنحل، نهاية الإقدام، وغيرهما، توفي سنة 548هـ، وكانت ولادته عام 467، وقيل 479هـ. انظر طبقات الشافعية: 130-6/128، مرآة الجنان: 290-3/284.

روايته بهذا، لاسيما إذا كان غير داعية.

وأما التشيع في عرف المتأخرين: فهو الرفض المحض، (أي السب والشتم)، فلا تقبل رواية الرافضي الغالي، ولا كرامة⁽¹⁾.

نشأة الشيعة وجذورها التاريخية:

يقول الدكتور ناصر القفاري⁽²⁾:

إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرت بمراحل كثيرة، ونشأت تدريجياً.. وانقسمت إلى فرق كثيرة. ولا شك أن التتبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع يحتاج إلى بحث مستقل، ولهذا سيكون الحديث هنا عن: أصل النشأة وجذورها التاريخية، ولا يعنيها تتبع مراحلها ونشوء فرقها.. وسنبداً بعرض رأي الشيعة من مصادرها المعتمدة عندها، ثم نذكر بعد ذلك آراء الآخرين.

فالمنهج العلمي والموضوعية توصيان بأخذ آراء أصحاب الشأن فيما يخصهم أولاً.

رأي الشيعة في نشأة التشيع:

لم يكن لهم رأي موحد في هذا، ونستطيع أن

¹ () تهذيب تهذيب الكمال لابن حجر، 94-1/93، ترجمة أبان بن تغلب الربيعي أبو سعد الكوفي (كان مذهبه مذهب الشيعة). وأبان هذا من رجال مسلم والأربعة أصحاب السنن. **وانظر:** التشيع بين مفهومي الأئمة والمفهوم الفارسي تأليف محمد البنداري ص 11.

² () في كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، ج 1 ص 57 وما بعدها.

نستخلص ثلاثة آراء في نشأة التشيع كلها جاءت في كتبهم المعتمدة، وستتعقب كل رأي بالمناقشة والنقد.

• الرأي الأول:

أن التشيع قديم قبل رسالة النبي ﷺ، وأنه ما من نبي إلا وقد عرض عليه الإيمان بولاية علي. وقد وضع الشيعة أساطير كثيرة لإثبات هذا الشأن، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: "ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنو محمد صلى الله عليه وآله، ووصية علي عليه السلام"⁽¹⁾.

"وعن أبي جعفر في قول الله عز وجل **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً**، قال: عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم"⁽²⁾، وإنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك

1 () الكليني/ أصول الكافي: 1/437.

2 () وهذا تفسير بعيد عن الآية .. بل إحداد في آيات الله، وقد جاء تفسير الآية عن السلف وغيرهم: "ولقد وصينا آدم وقلنا له: **إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة** ففسي ما عهد إليه في ذلك (أي ترك) ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس الذي حسده. قال قتادة: **ولم نجد له عزماً** أي صبراً. تفسير الطبري 220/16-222.

كذلك والإقرار به (1) .

◀ نقد هذا الرأي:

هناك من الآراء والمعتقدات ما يكفي في بيان فسادها مجرد عرضها، وهذا الرأي من هذا الصنف إذ أن فساده وبطلانه من الأمور المعلومة بالضرورة.. وكتاب الله بين أيدينا ليس فيه شيء من هذه المزاعم.

لقد كانت دعوة الرسل -عليهم السلام- إلى التوحيد لا إلى ولاية علي والأئمة كما يفترون.

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (2). وقد قال: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...﴾ (3).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل..." (4).

1 () الكليني/ الكافي: 1/416

2 () الأنبياء: 25.

3 () رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ 1/11، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله 1/51-52، وغيرهما.

4 () رواه البخاري ومسلم بالفاظ متقاربة، وما ذكره لفظ مسلم، انظر: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة

فلم يرد في السنة الصحيحة إلا ما ينقض هذا الرأي، كما أن "أئمة السلف متفوقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتين" (1).

فأين ما يزعمون من أمر ولاية علي؟

وإذا كانت ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، فلماذا ينفرد بذكرها الروافض، ولا يعلم بها أحد غيرهم؟ ولماذا لم يعلم بذلك أصحاب المديانات، بل لماذا لم تسجل هذه الولاية في القرآن وهو المهيمن على الكتب كلها، والمحفوظ من رب العزة جل علاه.

إن هي إلا دعوى بلا برهان، والمدعاوى لا يعجز عن التنطع بها أحد إذا لم يكن له من دينه أو عقله أو حياته ما يحميه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي ﷺ ليس في شيء منها ذكر علي... وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم أنه ذكر علي عندهم فكيف يجوز أن يقال: أن كلاً من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية علي، ولم يذكروا ذلك لأمرهم، ولا نقله أحد منهم" (2).

وكيف تتناول هذه الأساطير على الأنبياء فتزعم

2/108، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين 51-1/50.

1 () شرح الطحاوية: ص 75.

2 () منهاج السنة: 4/46.

أن آدم -عليه السلام- وبقية الأنبياء -ما عدا أولي العزم- قد تركوا أمر الله في الولاية، إن هذا إلا بهتان عظيم، فالولاية باطلة والافتراء على الأنبياء باطل. ومن المفارقات العجيبة: ذلك الغلو الذي لا يقف عند حد في مسألة عصمة الأئمة .. وهذا الجفاء في حق صفوة الخلق، وهم الأنبياء، ليس ذلك دليلاً على أن واضعي هذه الأساطير هم قوم قد فرغت عقولهم ونفوسهم من العلم والإيمان، وشحنت بالحق والتأمر على المصلحين والأخيار، وأرادوا الدخول على الناس لإفساد أمرهم من طريق التشيع؟، بلى: إنه لا يتجرأ على مثل هذه الافتراءات إلا زنديق، وكأنهم بهذه المقالة يجعلون أتباع الأئمة أفضل من أنبياء الله -ما عدا أولي العزم- لأن الأتباع اتبعوا، والأنبياء تركوا، إن هذا لهو الضلال المبين.

وأين عقول هؤلاء القوم الذين يصدقون بهذه الترهات! كيف يؤخذ على من قبلنا من الأنبياء وأممهم الميثاق على طاعة علي في إمامته "هذا - كما يقول شيخ الإسلام- كلام المجانين، فإن أولئك ماتوا قبل أن يخلق الله علياً فكيف يكون أميراً عليهم، وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه، وأما الإمارة على من خلق قبله، وعلى من يخلق بعده، فهذا من كذب من لا يعقل ما يقول، ولا يستحي مما يقول... وهذا من جنس قول ابن عربي الطائفي وأمثاله من ملاحدة المتصوفة الذين يقولون: إن الأنبياء كانوا يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء والذي وجد بعد محمد بنحو ستمائة سنة،

فدعوى هؤلاء في الإمامة من جنس دعوى هؤلاء في
الولاية، وكلاهما يبني أمره على الكذب والغلو
والشرك والدعاوى الباطلة، ومناقضة الكتاب والسنة
وإجماع سلف الأمة⁽¹⁾ .

فما الغاية والهدف من هذه المقالة التي لا يخفى
كذبها على أحد؟

هل الغاية صد الناس عن دين الله؟! .

لأن هذا معلوم بطلانه بدهة، فإذا رفعوا هذه
الدعوى ونسبوها للإسلام، وأطلع عليها أصحاب تلك
الديانات وغيرهم، ورأوا بطلانها في العقل والنقل
شكوا في الإسلام نفسه .

ثم ماذا يقول أهل العلم والعقل عن هذا التحليل
الغريب لفساد الأشياء أو صلاحها من الجمادات
والنباتات والمياه... إلخ، وأن هذا بسبب موقفها من
ولاية علي.

ماذا يقول العالم عن هذا ... هل هذا هو الدين الذي
يريدون أن يقدموه للناس؟ أو أن الهدف تشويه
الإسلام والصد عنه.

ولا يستغرب هذا الرأي من الشيعة، فهم أهل
مبالغات غريبة يكذبون بالحقائق الواضحات، والأخبار
المتواترات، ويصدقون بما يشهد العقل والنقل
بكذبه.. وإذا كانوا يقولون بهذا الرأي فيمن يدعون
إمامته، فإنهم أيضاً يقولون في أعداء الأئمة وأعداء

1 () منهاج السنة: 4/78.

الشيعة - في اعتقادهم - ما يقارب هذا الرأي فقد قالوا في الخلفتين الراشدين العظيمين: أبي بكر وعمر، قالوا - مثلاً - : " وقع في الخبر أن القائم - رضي الله عنه - إذا ظهر يحييهم ويلزمهم بكل ذنب وفساد وقع في الدنيا حتى قتل قابيل وهابيل، ورمي أخوة يوسف له في الجب، ورمي إبراهيم في النار وسايرها، وكذا روي عن **الصادق**: " أنه ما أزيل حجر من موضعه، ولا أريقتم محجمة دم إلا وهو في أعناقهما - يعني الخليفة الأول والثاني - (1) .

□ **الرأي الثاني: (من آراء الشيعة)**

ويزعم بعض الروافض في القديم والحديث أن رسول الله □ هو الذي وضع بذرة التشيع، وأن الشيعة ظهرت في عصره، وأن هناك بعض الصحابة الذين يتشيعون لعلي وبوالونه في زمنه □.

يقول **القمي**: " فأول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي □ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي.. وهم أول من سمو باسم التشيع من هذه الأمة (2). وبشاركه في هذا الرأي النوبختي، والرازي.

1 () البحراني/ درة نجفية: ص 37، وانظر رجال الكشي: ص 205-206، وانظر الأنوار النعمانية: 1/82.

2 () المقالات والفرق: ص 15.

← مناقشة هذا الرأي:

أولاً: يلاحظ أن من أول من قال بهذا الرأي القمي في كتابه "المقالات والفرق" والنوبختي في كتابه "فرق الشيعة". وقد يكون من أهم الأسباب لنشأة هذا الرأي هو أن بعض علماء المسلمين أرجع التشيع في نشأته وجذوره إلى أصول أجنبية، وذلك لوجود ظواهر واضحة تثبت ذلك سيأتي الحديث عنها. فبسبب ذلك قام الشيعة بمحاولة إعطاء التشيع صفة الشرعية، والرد على دعوى خصومهم برد التشيع إلى أصل أجنبي، فادعوا هذه المدعوى، وحاولوا تأييدها وإثباتها بكل وسيلة، ووضعوا روايات كثيرة في ذلك⁽¹⁾. ونسبوا إلى رسول الله ﷺ وزعموا أنها رويت من طرق أهل السنة، وهي روايات لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة⁽²⁾.

آراء غير الشيعة في نشأة التشيع:

1 () في كتب الموضوعات عند أهل السنة روايات كثيرة من وضع الروافض في هذا الباب، انظر مثلاً: الموضوعات لابن الجوزي: 1/338 وما بعدها، والشوكاني/ الفوائد المجموعة ص 342 وما بعدها، والكتاني/ تنزيه الشريعة 1/351 وما بعدها، ولهم وسائل الطرق ومسالك الاستدلال والاحتجاج على أهل السنة كتب عنها د. ناصر القفاري في رسالته: فكرة التقريب ص 51 وما بعدها.

2 () ابن خلدون/ المقدمة 2/527 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي.

□ القول الأول:

أن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول □ حيث وُجِدَ من يرى أحقية علي رضي الله عنه بالإمامة. وهذا الرأي قال به طائفة من القدامى والمعاصرين، منهم العلامة بن خلدون، وأحمد أمين، وبعض المستشرقين.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة -يعني دولة الشيعة- أن أهل البيت لما توفي رسول الله □ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم"⁽¹⁾.

◀ مناقشة هذا الرأي:

ولو كان هذا الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة يمثل البذرة والنواة للتشيع لكان له ظهور ووجود زمن أبي بكر وعمر، ولكنه رأى إن ثبت فهو كسائر الآراء التي أثرت في اجتماع السقيفة، ما إن وُجِدَ حتى اختفى بعد أن تمت البيعة .. واجتمعت الكلمة .. واتفق الرأي من الجميع.

□ القول الثاني:

أن التشيع لعلي بدأ بمقتل عثمان رضي الله عنه، يقول ابن حزم: "ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عاماً، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض"⁽²⁾.

1 () العبر: 3/170-171.

2 () الفصل: 2/8. وانظر الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ص 6 للشيخ عثمان بن عبد الله الحنفي.

والذي بدأ غرس بذرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي⁽¹⁾، والذي بدأ حركته في أواخر عهد عثمان. وأكد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين على أن ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه⁽²⁾. وقد تواتر ذكره في كتب السنة والشيعية على حد سواء.

ونبتت نابتة من شيعة العصر الحاضر تحاول أن

1 () عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بالوهية علي، كما تقول برجعته وتطعن في الصحابة ... أصله من اليمن وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأخرجه أهلها، فأنصرف إلى مصر وجهر بيدعته. قال ابن حجر: عبد الله ابن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرّقه بالنار. أهـ. وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعية جميعاً.

2 () انظر مثلاً ابن تيمية الذي يعتبر ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى: مجموع الفتاوى 4/518، وكذلك ابن المرتضى في المنية والأمل ص 125، ومن المعاصرين أبو زهرة الذي ذكر أن عبد الله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان علي رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنه وصي محمد، ودعا إلى ذلك. وذكر أبو زهرة أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي: انظر تاريخ المذاهب الإسلامية 1/31-33، وسعيد الأفغاني الذي يرى أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية سرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم: انظر عائشة والسياسة ص 60، والقصيمي في الصراع 1/41.

تنكر وجوده بجرة قلم دون مبرر واقعي، أو دليل قاطع⁽¹⁾، بل ادعى البعض منهم أن عبد الله بن سبأ هو عمار بن ياسر⁽²⁾. وهذه الدعوى أو المحاولة هي حيلة لتبرئة يهود من التآمر على المسلمين .. كما هي محاولة أو حيلة لإضفاء صفة الشرعية على الرفض .. والرد على دعوى خصومهم برد أصل التشيع إلى أصل يهودي.

وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعية على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية، وشخصية تاريخية فكيف ينفي ما أجمع عليه الفريقان. أما القول بأن ابن سبأ هو عمار بن ياسر فهو قول يردده العقل والنقل والتاريخ، وكيف تلصق تلك العقائد التي قال بها ابن سبأ بعمار بن ياسر، وهل هذا إلا جزء من التجني على الصحابة والطعن فيهم.

ولست بحاجة إلى دراسة هذه المسألة فقد خرجت دراسات موضوعية ومستوفية لهذه القضية⁽³⁾، فلا

1 () وهو مرتضى العسكري في كتابه: "عبد الله بن سبأ" ص 35 وما بعدها.

2 () وهو: علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين) ص 274، وقلده في هذا الشيعي الآخر: مصطفى الشيباني في كتابه 10 الصلة بين التصوف والتشيع) ص 40-41.

3 () من أبرز هذه الدراسات وأهمها: رسالة "عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة" للدكتور سلمان العودة، وقد توفرت لديه أدلة قاطعة على وجود ابن سبأ وسعيه في الفتنة. وهي دراسة جادة ومستوفية، وقد ناقش المشككين والمنكرين والقائلين أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر، وأثبت زيف هذه الأقوال بالحجة والبرهان.

وَأَرْحَامِهِ وَخَلْفَاؤُهُ وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالطَّعْنَ فِي الصَّحَابَةِ الْآخِرِينَ، وَهَذِهِ عَقِيدَةُ الشَّيْعَةِ فِي الصَّحَابَةِ كَمَا هِيَ مَسْجُودَةٌ فِي كِتَابِهِمْ الْمَعْتَمَدَةِ. كَمَا أَنَّ ابْنَ سَبَأٍ قَالَ بِرَجْعَةِ عَلِيٍّ، وَالرَّجْعَةَ مِنْ أَصُولِ الشَّيْعَةِ.

وهذه أهم الأصول التي تدين بها الشيعة، وقد وُجِدَتْ إِثْرَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي عَهْدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أصل التشيع، أو أثر الفلسفات القديمة في المذهب الشيعي:

اختلفت أنظار العلماء والباحثين في مرجع الأصول العقديّة للتشيع، فمن قائل بأنها ترجع لأصل يهودي، ومن قائل بأنها ترجع لأصل فارسي، ومن قائل بأن المذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الآسيوية كالبوذية⁽¹⁾ وغيرها.

¹ () البوذية: هم أتباع بوذا، ولها انتشار بين عدد من الشعوب الآسيوية وتتباين عقائد الأتباع حول هذه النحلة... وانظر عن

٥. التفسيرات المختلفة لآية التوحيد

التفسيرات المختلفة لآية التوحيد في القرآن الكريم، والتي وردت في سورة البقرة، آية 163، هي:

1- التوحيد في الربوبية: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

2- التوحيد في الألوهية: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

3- التوحيد في الشريعة: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

4- التوحيد في الصفات: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

5- التوحيد في الأفعال: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

6- التوحيد في الذات: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

7- التوحيد في الاسم: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

8- التوحيد في الخلق: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

9- التوحيد في الرزق: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

10- التوحيد في الموت: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

11- التوحيد في القيامة: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

12- التوحيد في الجنة: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

13- التوحيد في النار: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

14- التوحيد في الساعة: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

15- التوحيد في يوم الدين: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

16- التوحيد في الحساب: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

17- التوحيد في الجزاء: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

18- التوحيد في العقاب: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

19- التوحيد في الثواب: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

20- التوحيد في الجزاء: أي أن الله هو المعبود الحقيقي، وليس هناك غيره.

بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستبني سنن من كان قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في

البوذية: محمد سيد كيلاني / ذيل الملل والنحل ص13، 26،
31، محمد أبو زهرة / الديانات القديمة: ص 53، سليمان
مظهر/ قصة الديانات ص 73.

المنتسبين للتشيع⁽¹⁾.

ويقول سليمان العودة⁽²⁾ - الخاتمة ونتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الرسالات.. وبعد: فإن الذي يبرز من خلال البحث عدة نقاط نجملها فيما يلي:

1. البحث يكشف عن حقيقة وجود عبد الله بن سبأ وجوداً تؤكد الروايات القديمة وتفيض به كتب المقالات والفرق، والغالبية من كتب التراث وأخبار الشيعة المتقدمين، وسار على نهج هؤلاء المحققون من الباحثين المحدثين.

2. يبدو أن أول من شك في وجود ابن سبأ بعض المستشرقين، ثم دعم هذا الغالبية من الشيعة المحدثين، وأنكر بعضهم وجوده، وبرز مع هذه المجموعة من أولع بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، لكن هؤلاء وأولئك ليس لهم من دعائم الشك إلا الشك ذاته، وقد سبق البيان..

3. التوصل إلى حقيقة وجود ابن سبأ يكشف لنا عن الغموض المكتنف لبعض روايات الفتنة، ويجلي عاملاً خطيراً من عوامل الفتنة المنتهية بقتل

(1) منهاج السنة: 4/147.

(2) في كتابه: عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ص 231 وما بعدها.

ال خليفة عثمان رضي الله عنه.

4. كما يكشف البحث أيضاً أثر ابن سبأ وأعوانه في الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه، مبرزاً الدور الذي قاموا به في **وقعة الجمل**، ويستمر دورهم في الإفساد حتى بعد أن استقر الأمر لعلي.

5. ونقف في الأخير على حقيقة اتباع ابن سبأ، فهو ليس وحده بل هناك طائفة تقول بقوله وتعتقد ما يعتقد، وقد نسبت إليه وأطلق عليها **السبئية**.

6. البحث وإن كان ينتهي دون أن يحدد نهاية ابن سبأ، بعد أن يثبت وجوده بعد استشهاد علي، إذ أنه قال لمن جاء ينعى إليه قتل علي: لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة ما صدقنا أنه يموت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً!!، نقول مع هذا الغموض في تحديد النهاية⁽¹⁾ الذي يقابله غموض في المبدأ والنشأة، فإن ذلك لا ينتصب دليلاً على الإنكار أو حتى عاملاً من عوامل التشكيك، وقد سبق توضيح ذلك.

ومع ذلك فإنني أخلص من هذا البحث مؤكداً النتائج الآتية:

أولاً: أن عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع، والبراهين على ذلك ما يلي:

1 () ترجم الزركلي لابن سبأ في الأعلام، فلم يحدد مولده، أما وفاته فقال: نحو سنة 40هـ ج4/220.

أ. عقائد الشيعة لا تختلف كثيراً عن الأفكار والمعتقدات التي جاء بها عبد الله بن سبأ، فمثلاً إذا قال الشيعة في القرآن - كما جاء في الكافي - معزواً إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق) ⁽¹⁾ أنه قال:

"وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، قال أبو بصير - راوي الخبر - قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد" ⁽²⁾.

إذا قال الشيعة ذلك وجدنا أصل معتقدهم هذا قد جاء به عبد الله بن سبأ حينما قال: إن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي .. ⁽³⁾.

وإذا كان من عقائد الشيعة المغالاة في الأئمة - وخاصة علي - حتى عقد فخر الشيعة: الشيخ المفيد المتوفى سنة 413 هـ في إحدى كتبه باباً سماه: "القول في علم الأئمة (ع) ⁽⁴⁾ بالضمائر والكائنات، وإطلاق القول عليهم بعلم الغيب، وكون ذلك لهم في

¹ () هذه الرواية كغيرها من الروايات الكثيرة التي ينسبها الشيعة كذباً وزوراً إلى جعفر الصادق عليه رحمة الله، ذلك الرجل الذي أخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك، وقال عنه أبو حنيفة ما رأيت أفقه منه ولقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور، كما قيل عنه أنه فقيه إمام، توفي سنة 148 هـ. وانظر الكاشف للذهبي 1/186، تقريب التهذيب 1/132، معجم المؤلفين 3/145.

² () الكليني: الكافي 1/239.

³ () الجوزجاني: الضعفاء 3/ ب.

⁴ () (ع): أي عليهم السلام.

الصفات" (1).

وقبله قال الكليني (328هـ): "إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم" (2). وعقد بعد ذلك باباً "إن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم" (3).

ومن الشيعة المحدثين يقول **الخميني**: "إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون" (4). ويقول أيضاً: "وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل" (5).

إذاً اعتقد المتقدمون والمتأخرون من الشيعة بهذه العقيدة، التي تعطي الأئمة صفات الألوهية فإننا نجد أن ابن سبأ هو الذي وضع لهم أساس هذه العقيدة - كما تقدم بيانه - حتى قال ابن قتيبة: عبد الله بن سبأ أول من كفر من الرافضة وقال على رب العالمين (6).

وإذا كان من بين العقائد التي جاء بها ابن سبأ القول بالوصية والرجعة - كما تقدم - وجدنا الشيعة يدينون بها، ففي الأصول: "فكان علي عليه السلام، وكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر،

1 () أوائل المقالات ومنشورات المكتبة الحيدرية/ النجف 1393هـ - 1973م، ص 80.

2 () الأصول من الكافي للكليني 1/ 258.

3 () المصدر نفسه 1/ 258.

4 () الحكومة الإسلامية للخميني ص 52.

5 () الحكومة الإسلامية للخوميني ص 52.

6 () المعارف ص 267.

وهو يقصد في فلان وفلان وفلان: أبو بكر وعمر
وعثمان، كما أبان عن ذلك شارح الكافي⁽¹⁾.
والقول بالبداء من عقائد السبئية، كما أشار إلى
ذلك الملطي وغيره⁽²⁾ والشيعية يقولون بالبداء، حتى
عقد الكليني في كتاب التوحيد "باب البداء" وساق
فيه من الأخبار: "ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله خمس
خصال: بالبداء والمشية والسجود والعبودية
والطاعة"⁽³⁾.

ونقل أيضاً: "لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من
الأجر ما فتروا عن الكلام فيه"⁽⁴⁾.

ولعل في ذلك كفاية لبيان الحقيقة، وإلا فقد يجد
الدارس لأفكار عبد الله بن سبأ عند المقارنة بينها
وبين عقائد الشيعة أشياء غير هذه..

ب. ولا يستطيع الشيعة البراءة من ابن سبأ
والسبئية، وذلك لأن من بين السبئية أفراد، بل علماء
من الشيعة، فجابر الجعفي (أحد السبئية) يقول عنه
الذهبي: "من أكابر علماء الشيعة"⁽⁵⁾ كما أشار إلى

1 () الصافي شرح الكافي: ط. إيران (بالفارسية) نقلاً عن

إحسان إلهي ظهير: الشيعة والسنة ص 42.

2 () الملطي: التنبيه والرد ص 19، وانظر: إحسان إلهي

ظهير: الشيعة والسنة ص 63.

3 () الأصول من الكافي: 1/148.

4 () المصدر نفسه: 1/148. وانظر ابن حجر: لسان الميزان

6/76.

5 () الكاشف: 1/178.

رافضيته ابن حجر العسقلاني⁽¹⁾.

والمغيرة بن سعيد قال عنه ابن حبان: شيخ من حمقى الروافض⁽²⁾ وفي لسان الميزان ما يؤكد ذلك. أما الكلبي (وهو واحد من السبئية أيضاً) فالذي حفظ عنه علماء الجرح والتعديل هو إفراطه في التشيع⁽³⁾.

جـ. وفوق هذا وذاك فهناك نصوص صريحة تدل - من قريب أو بعيد- على أن عبد الله بن سبأ هو أضل الرافضة، فابن قتيبة -كما مر- يقول: وكان ابن سبأ أول من كفر من الرافضة، ويقول الأسفرايني عن ابن سبأ: كان من غلاة الرافضة، ونقل مثل ذلك الذهبي⁽⁴⁾.

ويكشف ابن تيمية الحقيقة أكثر فيقول: " .. وأول من ابتدع الرفض كان منافقاً .."، وينقل في موضع آخر قول أهل العلم: "إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ"⁽⁵⁾. ويقول في "منهاج السنة": " ..إن أول من ابتدع الرفض والقول بالنص على علي وعصمته كان منافقاً زنديقاً أراد إفساد دين الإسلام..".

ولم تكن هذه التصريحات قصراً على أهل السنة وحدهم، بل ذكرها بعض علماء الشيعة، فالقمي -

1 () تهذيب التهذيب : 2/49، والتقريب: 1/123.

2 () المجروحين 3/7.

3 () تهذيب التهذيب: 9/180.

4 () التبصير في الدين: ص 108 . والمغني في الضعفاء 1/339.

5 () الفتاوى 3/353، 483 /28 . ومنهاج السنة 3/261 .

مثلاً- أثناء حديثه عن ابن سبأ وما جاء به يقول:
 "فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض
 مأخوذ من اليهودية⁽¹⁾ دون أن يعلق على ذلك شيئاً
 في موضعه ومثل ذلك يصنع النوبختي في فرقه⁽²⁾.
 وأخيراً يقول المستشرق الألماني "فلهوزن":
 "إن مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ
 على أنه مؤسسها إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن
 يرجع إلى الإيرانيين .."⁽³⁾.

ثانياً: من خلال الموازنة والتحقيق يتبين أن
 السبئية أصل تفرعت عنه فرق أخرى من فرق
 الضلال التي نبتت في مجتمع المسلمين، كما أن ابن
 سبأ لم ينته شأنه بموته وإنما استمرت آثاره -في
 مجتمع المسلمين- بفعل من جاء بعده متأثراً
 بأفكاره، ومنتشعباً بمعتقداته.

فرق الشيعة⁽⁴⁾:

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة
 وطوائفهم... والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق،
 وتعددتها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه
 السمة أو قل بهذا البلاء... فبعد وفاة كل إمام من
 الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة، وكل طائفة

1 () المقالات والفرق ص 20.

2 () فرق الشيعة: ص 20.

3 () الشيعة والخوارج: ص 170، 171.

4 () أصول مذهب الشيعة الإمامية: عرض ونقد د. ناصر
 القفاري ص 90 وما بعدها.

تذهب في تعيين الإمام مذهباً خاصاً بها.. وتتفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة.

ولكن من الملاحظ - كما سيأتي - في عرض آراء وعقائد الإثنى عشرية قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى، وأنها كانت بمثابة النهر الذي انسكبت فيه كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة.

فهذه الفرق لم تفن - كما يقال - بل إن أكثرها باق، وهو يطل علينا من خلال الفكر الإثنى عشري، وقد انحصرت الفرق الشيعية المعاصرة بثلاث فرق هي: 1. الاثنا عشرية، 2. الإسماعيلية⁽¹⁾.

1 () **الإسماعيلية**: وهم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة والحشاشون والفاطميون والدروز وغيرهم، وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة تختلف باختلاف البلدان، إذ لهم كما يقول الشهرستاني دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، وأما مذهبهم فهو كما يقول أبو حامد الغزالي وغيره: "إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض"، أو كما يقول ابن الجوزي: "فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرن هذا في أول أمرهم. ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة، وقد أطلع على أحوالهم وكشف أستارهم جملة من أهل العلم، كالبعثادي الذي أطلع على كتاب لهم يسمى: "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر"، ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع، والحمادي اليماني الذي اندس بينهم وعرف

3. الزيدية⁽²⁾.

وطائفة الإثنى عشرية هي أكبر هذه الطوائف اليوم، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ.

حالهـم وبين ذلك في كتابه "كشف أسرار الباطنية"، وابن النديم الذي اطلع على "البلاغات السبعة" لهم، وقرأ "البلاغ السابع"، ورأى فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها... وغيرهم، ولهم نشاطهم اليوم، كما لهم كتبهم السرية. قال أحدهم: وإن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا" (مصطفى غالب/ الحركات الباطنية في الإسلام ص 67، وانظر أبو حاتم الرازي الإسماعيلي/ الزينة: ص 287 ضمن كتاب "الغلو والفرق الغالية"، أبو حامد الغزالي/ فضائح الباطنية: ص 37 وما بعدها، الملل والنحل: 1/167، 191، والبغدادى/ الفرق بين الفرق: ص 294، 621، ابن النديم/ الفهرست: ص 267، 268، الملطي/ التنبيه والرد: ص 218، والمقدسي/ البدء والتاريخ: 5/124، الإسفراييني / التبصير في الدين، ابن الجوزي/ تلبس إبليس: ص 99، وانظر الإسماعيلية: إحسان إلهي ظهير).

(²) **الزيدية:** وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (الملل والنحل: 1/154، مقدمة البحر الزخار: ص 40)، وسموا بالزيدية نسبة إليه (يحيى بن حمزة/ الرسالة الوازعة ص 28، والسمعاني/ الأنساب: 6/340)، وقد افترقوا عن الإمامية حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة.. ويسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لاتباعهم له وذلك في آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين (منهاج السنة: 1/21، الرسالة الوازعة: ص 87-88). والزيدية يوافقون المعتزلة في العقائد (انظر المقبلي/ العلم الشامخ: ص 319، الملل والنحل: 1/162، والرازي/ المحصل: ص 247).

ألقاب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية:

من الألقاب التي يطلقها بعض كتب الفرق والمقالات وغيرهم على الاثنى عشرية ما يلي:

1. الشيعة:

لقب الشيعة في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها، ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أُطلق -في نظر جمع من الشيعة وغيرهم- لا ينصرف إلا إلى طائفة الاثنى عشرية.

2. الإمامية:

قال ابن خلدون: "وأما الاثنى عشرية فربما خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم"⁽¹⁾.

ويقول شيخ الشيعة في زمنه "المفيد": "الإمامية هم القائلون بوجود الإمامة، والعصمة، ووجوب

والزيدية فرق: منهم من لم يحمل من الانتساب إلى زيد إلا الاسم فهم روافض في الحقيقة يقولون إن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غير علي، وهؤلاء **الجارودية** أتباع أبي الجارود، ومنهم من يقترب من أهل السنة كثيراً وهم أصحاب الحسن بن صالح حي الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه (ويقول ابن حزم: إن الثابت عن الحسن ابن صالح هو أن الإمامة في جميع قريش) ويتولون جميع الصحابة إلا أنهم يفضلون علياً على جميعهم.. (انظر ابن حزم/ الفصل: 2/266، وانظر في اعتدال الزيدية الحقبة في مسألة الصحابة: ابن الوزير/ الروض الباسم ص49-50، المقبلي/ العلم الشامخ: ص326)، وانظر بحثي عن الزيدية في فكرة التقريب ص146 وما بعدها (سلمان العودة).
() تاريخ ابن خلدون: 1/201.

النص" (1).

والشهرستاني يقول: "الإمامية هم القائلون
بإمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً
من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين" (2).

ومثله **الأشعري** حيث يقول: "... وهم يدعون
الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي
طالب" (3).

3. الاثنا عشرية:

هذا المصطلح لا نجده في كتب الفرق والمقالات
المتقدمة، ولعل أول من ذكره المسعودي (4) (ت
349هـ) من الشيعة. أما من غير الشيعة فلعله عبد
القادر البغدادي (ت 429هـ) حيث ذكر أنهم سموا
بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني
عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله
عنه (5).

4. القطعية:

وهو من ألقاب الاثني عشرية عند طائفة من
أصحاب الفرق كالأشعري والشهرستاني

1 () العيون والمحاسن: 2/91.

2 () الملل والنحل: 1/162.

3 () مقالات الإسلاميين: 1/86.

4 () التنبيه والإشراف: ص 198.

5 () الفرق بين الفرق: ص 64.

والإسفراييني وغيرهم⁽¹⁾. وهم يسمون القطعية لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق⁽²⁾. ومنهم من يعتبر القطعية فرقة من فرق الإمامية وليس من ألقاب الاثنى عشرية⁽³⁾.

5. أصحاب الانتظار:

لقَّبَ الرازي الاثنى عشرية بأصحاب الانتظار، وذلك لأنهم يقولون بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري، وهو غائب وسيحضر.. ويقول: وهذا المذهب هو الذي عليه إمامية زماننا⁽⁴⁾. والانتظار للإمام مما يشترك في القول به جمع من فرق الشيعة على اختلاف بينهم في تعيينه، ولا يختص به طائفة الاثنى عشرية.

6. الرافضة:

- 1 () مقالات الإسلاميين: 1/90-91، الملل والنحل: 1/169، التبصير في الدين: ص33، الحور العين: ص166.
- 2 () انظر: القمي/ المقالات والفرق: ص89، الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة ص47، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: 1/90، عبد الجبار الهمداني/ المغني ج20، القسم الثاني ص176، المسعودي/ مروج الذهب: 3/221.
- 3 () مختصر التحفة الاثنى عشرية: ص19-20. ولا شك أن القطعية هم أسلاف الاثنى عشرية، وسموا بهذا بعد القطع بإمامة موسى، وافترقوا بذلك عن الإسماعيلية.. ولكن إذا لاحظنا أن الشيعة تختلف بعد موت كل إمام، فإن فرقة القطعية قد حل بها هذا الانقسام.. وانفصل منها فرق لم تعتقد بالاثنى عشر. أي أنه قد صار من فرق القطعية من لم يكن من الاثنى عشرية، فالقطعية أعم من الاثنى عشرية.
- 4 () اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص84-85.

ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الاثني عشرية كالأشعري في المقالات، وابن حزم في الفصل⁽¹⁾.

يقول أبو الحسن الأشعري: "وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر"⁽²⁾.

هذا وهناك أقوال أخرى في سبب تسميتهم بالرافضة، على أن هناك من أصحاب الفرق من أطلق اسم الرافضة على عموم فرق الشيعة.

7. الجعفرية:

وتسمى الاثنا عشرية بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس - كما يزعمون- وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص.

اعتقاد الشيعة في مصادر الإسلام⁽³⁾:

- () مقالات الإسلاميين: 1/88، الفصل: 4/157-158. ¹
- () مقالات الإسلاميين: 1/89، وانظر أيضاً في سبب التسمية بالرافضة: الشهلستانى/ الملل والنحل: 1/155، والرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 77، والإسفرائيني/ التبصير في الدين: ص 34، الجيلاني/ الغنية: 1/76، ابن المرتضى/ المنية والأمل: ص 21، وقيل سموا رافضة.. لتركهم نصره النفس الزكية (ابن المرتضى/ المنية والأمل: ص 21، وانظر هامش رقم 1 ص 111، وقيل لتركهم محبة الصحابة (علي القاري/ شم العوارض في ذم الروافض، الورقة 254 ب (مخطوط) وقيل لرفضهم دين الإسلام (انظر: الإسكوبي/ الرد على الشيعة، الورقة 23 (مخطوط) وانظر: محي الدين عبد الحميد/ هامش مقالات الإسلاميين: 1/89).
- () هذا الباب مختصر من كتاب أصول مذاهب الشيعة ³

القرآن - السنة - الإجماع.

أولاً: اعتقادهم في القرآن الكريم:

وفيه ثلاث مباحث.

المبحث الأول - اعتقادهم في حجة القرآن:

سنقسم هذا المبحث إلى مسائل ثلاث: **الأولى** قولهم: إن القرآن ليس بحجة إلا بَقِيْم، **والثانية:** حصر علم القرآن ومعرفته بالأئمة، **والثالثة:** زعمهم بأن قول الإمام يخصص عام القرآن، ويقيد مطلقه.. إلخ.

المسألة الأولى: اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بَقِيْم:

فالقرآن العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ولكن شيخ الشيعة ومن يسمونه بـ [ثقة الإسلام (الكليني)] يروي في كتابه: أصول الكافي والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة يروي ما نصه: "... أن القرآن لا يكون حجة إلا بَقِيْم.. وأن علياً كان قِيْم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله".

فماذا يعنون بهذه العقيدة: أيعنون بذلك أن النص القرآني لا يمكن أن يحتج به إلا بالرجوع لقول الإمام؟ وهذا يعني أن الحجة هي في قول الإمام لا في قول

الإمامية الاثنى عشرية عرض ونقد وتأليف دكتور: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري.

الرحمن.

والمتمأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقِد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القِيَم، و القِيَم هو أحد الأئمة الاثنى عشر، لأن القرآن فُسرَ لرجل واحد وهو عليّ، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثنى عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الأمام الثاني عشر وهو غائب مفقود عند الاثنى عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم.. فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قِيَمِهِ أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ.

المسألة الثانية: اعتقادهم بأن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد:

فإنه مما عُلِمَ من الإسلام أن عِلْمَ القرآن لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلّي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد بن عبد الله ونقله إلى الأجيال كافة.. ولكن الشيعة

تخالف هذا الأصل وتعتقد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثنى عشر بعلم القرآن كله، وأنهم ائُتُوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل!

جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: "إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله فسر له لرجل واحد، وفسره للأمة شأن هذا الرجل وهو علي بن أبي طالب".

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "إن الله أنزل عليّ القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يتبغي علمه عند غير علي هلك"⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر عليّ، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة، يروي عن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار. وروايته عن عليّ قليلة جداً، ولم يُخْرِج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن عليّ، وخرّجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم...

¹ () وسائل الشيعة: 18/138، وانظر: بحار الأنوار: 7/302، 19/23، الطبري (الرافضي) /بشارة المصطفى ص: 16، أمالي الصدوق ص: 40.

وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر⁽¹⁾.

بعد: فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصدّ عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به.

المسألة الثالثة: اعتقادهم بأن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه..

ومسألة النسخ والتخصيص والتقيد... ليست إلا جزءاً من وظيفة الأئمة الكبرى وهي (التفويض في أمر الدين) والتي يقررها صاحب الكافي في باب يعقده في هذا الشأن بعنوان: "باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين".

ولعل المتأمل لهذه المقولة، والمحلل لأبعادها يدرك أن الهدف من هذه المقالة تبديل دين الإسلام، وتغيير شريعة سيد الأنام.

وهذه المدعوى تقوم على أن دين الإسلام ناقص ويحتاج إلى الأئمة الاثني عشر لإكماله، وأن كتاب الله

1 () منهاج السنة: 4/155.

وسنة رسوله ﷺ لم يكمل بهما التشريع ..
وهذه العقائد أصبحت من أصول الاثنى عشرية⁽¹⁾،
لأنها شربت مذاهب الغلاة حتى الثمالة.. وقد أشار أبو
جعفر النحاس (المتوفى سنة 338هـ) إلى هذه
المقالة ولم ينسبها لأحد فقال: "وقال آخرون: باب
الناسخ والمنسوخ إلى الإمام، ينسخ ما شاء"⁽²⁾ وعدَّ
ذلك من عظيم الكفر ثم بين بطلانه بقوله: "لأن
النسخ لم يكن إلى النبي ﷺ إلا بالوحي من الله عز
وجل إما بقرآن مثله على قول قوم، وإما بوحي من
غير القرآن"⁽³⁾ فلما ارتفع هذان بموت النبي ﷺ ارتفع
النسخ⁽⁴⁾.

المبحث الثاني - اعتقادهم في تأويل القرآن:

وفيه مسألتان: الأولى: اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر.
والثانية: قولهم بأن جلَّ القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم.

المسألة الأولى: اعتقادهم بأن للقرآن معاني

1 () انظر دعوى الاثنى عشرية أن الأئمة يوحى إليهم وتهبط عليهم الملائكة، فصل السنة من هذه المسألة، وانظر قول الاثنى عشرية بأن الأئمة تظهر عليهم المعجزات/ مبحث الإيمان بالأنبياء من هذه الرسالة.

2 () الناسخ والمنسوخ: ص8.

3 () يعني سنة المصطفى ﷺ. قال تعالى: **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﷻ [النجم: 3-4].

4 () الناسخ والمنسوخ: ص 8-9.

باطنة تخالف الظاهر:

جاء في أصول الكافي للكليني ما نصه: "عن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً⁽¹⁾ عن قول الله عز وجل: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾**⁽²⁾. قال فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق.

تقرر هذه الرواية الواردة في كتبهم الأربعة مبدأ أن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، وتضرب المثل بما أحل الله وحرم في كتابه من الطيبات والخبائث، وأن المقصود بذلك رجال بأعيانهم هم الأئمة الاثنا عشر، وأعداؤهم وهم كل خلفاء المسلمين.. وهذا التأويل لا أصل له من لغة أو عقل أو دين، وهو محاولة لتغيير دين الإسلام من أساسه ودعوة إلى التحلل والإباحية؟!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من ادعى علماً باطناً، أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً، إما ملحداً زنديقاً، وأما جاهلاً ضالاً... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، مثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية

¹ () يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع (انظر أصول الكافي: الهامش: 1/374).

² () الأعراف: 33.

وأمثالهم. ثم يقول: "وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: **وكل شيء أحصيناه في إمام مبین** (1) أنه عليّ، وقوله: **فقاتلوا أئمة الكفر** (2) أنهم طلحة والزبير، **والشجرة ملعونة في القرآن** (3) بأنها بنو أمية (4).

هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الاثنى عشرية، فالتأويل المذكور في الآية الأولى: **وكل شيء أحصيناه في إمام مبین** جاء عندهم في خمس روايات أو أكثر (5)، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة (6)، وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل (7). وكذلك الآية الثانية **فقاتلوا أئمة الكفر** ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة (8)، وبلغت رواياتها عندهم أكثر من ثمان روايات (9)، ومثلها الآية الثالثة **والشجرة ملعونة** جاء تأويلها عند الاثنى

1 () يس: 12.

2 () التوبة: 12.

3 () الإسراء: 60.

4 () مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 13/236-237.

5 () انظر: اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية: هاشم البحراني: ص 321-322.

6 () انظر من ذلك: تفسير القمي: 2/212.

7 () قال السلف في تفسير الآية: أن الإمام المبين هنا هو أم الكتاب، أي وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ. (انظر تفسير ابن كثير: 3/591).

8 () انظر البرهان: 2/106-107.

9 () راجع المصدر السابق.

عشرية بما قاله شيخ الإسلام في أكثر من اثنتى عشرة رواية⁽¹⁾، وتناقل هذا التأويل مجموعة من مصادرهم المعتمدة⁽²⁾.

المسألة الثانية: قولهم بأن جل القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم:

يقول الشيعة بأن: "جل القرآن إيمانزل فيهم (يعني في الأئمة الاثنى عشر) وفي أوليائهم وأعدائهم، مع أنك لو فتشت في كتاب الله وأخذت معك قواميس اللغة العربية كلها وبحثت عن اسم من أسماء هؤلاء الاثنى عشرية فلن تجد لها ذكراً، ومع ذلك فإن شيخهم البحراني يزعم بأن علياً وحده ذكر في القرآن (1154) مرة، ويؤلف في هذا الشأن كتاباً سماه: "اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية" يحطم فيه كل مقاييس لغة العرب، ويتجاوز فيه أصول العقل والمنطق، ويفضح من خلاله قومه علي رؤوس الأشهاد بتحريفاته التي سطرها في هذا الكتاب وجمعها -وقد كانت متفرقة قد لا تعرف- من طائفة من مصادرهم المعتمدة عندهم.

وتأتي بعض رواياتهم لتقول: "إن القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن وأحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم، وفصل ما بينكم"⁽³⁾. وهذا يعني أنه ليس للأئمة ذكر صريح في

1 () انظر البرهان: 2/224-225.

2 () انظر: تفسير القمي: 2/21.

3 () أصول الكافي: 2/627.

القرآن.

وفي كتاب "البحار" أحد مصادرهم المعتمدة عندهم في الحديث أبواب كثيرة هي بمثابة قواعد وأصول في تفسير القرآن عندهم، وقد حشر في هذه الأبواب روايات كثيرة كلها تذهب هذا المذهب في كتاب الله سبحانه، ولعله يكفي أن تقرأ عناوين بعض هذه الأبواب لتدرك مدى مجافاتها للغة العرب، ومناقضتها للعقل، ومناقضاتها لأصول الإسلام، وأنها من أعظم الإلحاد في كتاب الله، والتحريف لمعانيه. ولنستعرض قسماً من هذه العناوين فيما يلي. قال المجلسي:

باب أنهم عليهم السلام آيات الله وبيئاته وكتابه..
وفيه (20) رواية⁽¹⁾.

وباب أنهم السبع المثاني، وفيه (10) روايات⁽²⁾.
وباب أنهم عليم السلام الصافون والمسبحون
وصاحب المقام المعلوم وحملة عرش الرحمن،
وأنهم السفارة الكرام البررة، وفيه (11) رواية⁽³⁾.
وباب أنهم كلمات الله، وفيه (25) رواية⁽⁴⁾.
وباب أنهم حرّات الله، وفيه (6) روايات⁽⁵⁾.

-
- 1 () انظر: بحار الأنوار: 211-23/206.
2 () المصدر السابق: 118-24/114.
3 () المصدر السابق: 91-24/87.
4 () المصدر السابق: 184-24/173.
5 () المصدر السابق: 186-24/185.

وباب أنهم الذكر وأهل الذكر، وفيه (65) رواية⁽¹⁾.
وباب أنهم أنوار الله، وفيه (42) رواية⁽²⁾.

وباب أنهم خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس، وفيه
(24) رواية⁽³⁾.

وباب أنهم المظلومون، وفيه (37) رواية⁽⁴⁾. وباب
أنهم المستضعفون، وفيه (13) رواية⁽⁵⁾.

فالأئمة كما ترى في هذه الأبواب يكونون أحياناً
ملائكة، وأحياناً كتباً سماوية، أو أنواراً إلهية.. إلخ. ومع
ذلك فهم المظلومون المستضعفون.

وهي دعاوي لا تحتاج إلى نقد فهي مرفوضة لغة
وعقلاً، فضلاً عن الشرع وأصول الإسلام، وهي
عناوين يناقض بعضها بعضاً.. ولكنه يمضي في هذا
النهج حتى يفسر الجمادات ويؤولها بالأئمة، يقول:
باب أنهم الماء المعين، والمبثر المعطلة، والقصر
المشيد، وتأويل السحاب، والمطر، والظل، والفواكه،
وسائر المنافع بعلمهم وبركاتهم. وقد أورد في هذا
الباب إحدى وعشرين رواية⁽⁶⁾، انتخبها كعادته من
طائفة من كتبهم المعتمدة.

ويغلو ويشطط ويتجاوز الحد، ليصل إلى أوصاف

-
- (1) المصدر السابق: 172/23-188.
 - (2) المصدر السابق: 304/23-325.
 - (3) المصدر السابق: 153/24-158.
 - (4) المصدر السابق: 221/24-231.
 - (5) المصدر السابق: 167/24-173.
 - (6) المصدر السابق: 100/24-110.

الرب جل جلاله فيقول: باب انهم جنب الله، وروحه، ويد الله وأمثالها ويذكر فيه ستاً وثلاثين رواية⁽¹⁾.

ويجعلهم هم الكعبة والقبلة.. ويعقد باباً لهذا بعنوان: باب أنهم رضي الله عنهم حزب الله وبقيته وكعبته وقبلته، وأن الأثارة من العلم علم الأوصياء، ويقدم في هذا الباب سبع روايات⁽²⁾.

ويمضي في هذا الشطط في طائفة من الأبواب عرضها يمثل في الحقيقة أبلغ رد وأعظم نقد لمذهب الشيعة، وهو ينسف بنيانهم من القواعد، وهو يؤكد عظمة هذا الدين الإسلامي، فبضدها تتميز الأشياء - فلولا المر ما عرف طعم الحلو- فهذه التأويلات أشبه ما تكون بمحاولات مسيلمة الكذاب، وهي تعطي الدليل القاطع على أنها ليست من عند الله سبحانه، يعرف هذا من له أدنى صلة بلغة العرب فضلاً عن دين الإسلام وقواعده وأصوله، لأن الله أنزل هذا القرآن سبحانه أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين... وإن من له أدنى صلة باللسان العربي -كما قلت- يدرك أن هذه الأبواب وتلك الروايات إلحاد في كتاب الله، وتحريف لكلامه سبحانه عن مواضعه. وأن مثل هذه التحريفات لا تلتبس إلا على أعجمي جاهل بالإسلام ولغة العرب، ولعلها برهان واقعي على أن من حاول المساس بكتاب الله سبحانه سقط في هذا الدرك الهابط، وليس هذا النهج في كتب الروايات

1 () المصدر السابق: 203-24/191.

2 () المصدر السابق: 213-24/211.

والأحاديث فحسب، فأنت إذا طالعت عمدة التفسير عند هذه الطائفة "وأصل أصول التفسير"⁽¹⁾ لديها، وهو تفسير القمي ألفيته قد أخذ من تلك التفاسير الباطنية بنصيب وافر، ومثله تفسير العياشي، وهو من كتب التفسير القديمة المعتمدة عندهم، وعلى نفس الطريق تجد تفسير البرهان، وتفسير الصافي وغيرها، وهي تعتمد على تفسير الآيات - كما زعموا - أنه بالمأثور عن جعفر الصادق أو بقية الاثنى عشر. وحسبنا أن نذكر أمثلة من رواياتهم في هذا الباب:

أصل هذه التأويلات وجذورها، وأمثلة لها: أ. أصل هذه التأويلات:

مضى القول بأن كتب الشيعة تزعم أن القرآن لا يحتج به إلا بقيم، وأن هذا القيم والمتمثل بالاثني عشر عنده علم القرآن كله ولا يشركه في ذلك أحد، ثم جعلت لهذا القيم وظيفة "المشرع" في تخصيص عام النصوص وتقييد مطلقها وبيان مجملها، ونسخ ما شاء منها، لأنه مَقْضِيٌّ في أمر الدين كله، ثم بررت ضرورة وجود هذا القيم لتأويل القرآن بقولها: بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر، ثم كشفت عن علم هذا الباطن المدخر عند الأمة بأنه يعني الأمة الاثنى عشر وأعدائهم (وهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان) ومعظم موضوعات القرآن لا تتعدى - عندهم - هذا الشأن، ثم وضعت هذه النظريات موضع التنفيذ حيث قام شيوخ الشيعة بوضع مئات الروايات

1 () انظر مقدمة تفسير القمي: 1/16.

في تفسير معاني القرآن بالأئمة أو مخالفهم أو بعقيدة أخرى من عقائدهم التي شذوا بها عن جماعة المسلمين.

ويرى بعض الباحثين⁽¹⁾ أن أول كتاب وضع الأساس لهذا اللون من تفسير الشيعة هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة (جابر الجعفي)⁽²⁾.

وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر لا يخطر على البال. ويبدو أن ما نسبته بعض أئمة السنة لغلاة الشيعة من تأويلات قد ورثتها الاثنى

(1) جولد سيهر/ مذاهب التفسير الإسلامي ص: 303-304.

(2) **جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي**، توفي سنة (127هـ)، قال ابن حبان: كان سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ. كان يقول أن علياً يرجع إلى الدنيا. وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة. قال ابن حجر: ضعيف رافضي. وانظر ميزان الاعتدال: 1/379-380، تقريب التهذيب 1/123، والضعفاء للعقيلي: 1/191-196.

أما هذا الجعفي في كتب الشيعة فأخبارهم في شأنه متناقضة، فأخبار تجعله ممن انتهى إليه علم أهل البيت، وتضفي عليه صفات أسطورية من علم الغيب ونحوه، وأخبار تطعن فيه... لكنهم يحملون أخبار الطعن فيه على التقية، ويقولون بتوثيقه كعادتهم في توثيق من على مذهبهم وإن كان كاذباً. انظر: وسائل الشيعة: 20/51، رجال الكشي: ص191، جامع الرواة: 1/144.

عشرية. فالإمام الأشعري⁽¹⁾، وكذلك البغدادي⁽²⁾، والشهرستاني⁽³⁾ وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعه، والذي تنسب إليه طائفة المغيرية⁽⁴⁾ أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: **﴿كَمِثْلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾**⁽⁵⁾ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة، حيث جاء في تفسير العياشي، والصافي، والقمي، والبرهان، وبحار الأنوار⁽⁶⁾ عن أبي جعفر في قول الله: **﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾**⁽⁷⁾ قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء **﴿وقال الشيطان﴾** إلا وهو

(1) مقالات الإسلاميين: 1/73.

(2) الفرق بين الفرق: ص 240.

(3) الملل والنحل: 1/177.

(4) **المغيرة:** أتباع المغيرة بن سعيد، عدّهم أصحاب الفرق من غلاة الشيعة، نسب إليه القول بألوهية علي، ودعوى النبوة، والتجسيم، وضلالات أخرى، وقد جاء في كتب الإثنى عشرية ذمه ولعنه عن الأئمة. قتله خالد بن عبد الله القسري سنة 119هـ. انظر تاريخ الطبري: 7/128-130، الأشعري: مقالات الإسلاميين: 1/69-74.

(5) الحشر: 16.

(6) تفسير العياشي: 2/223، الكاشاني/تفسير الصافي: 3/84، تفسير القمي: انظر الكاشاني 3/84، ولم أجده في الطبعة التي عندي، البحراني/ البرهان: 2/309، بحار الأنوار: 3/378 (ط. كمباني).

(7) إبراهيم: 22.

الثاني.

فكان كتب الاثنى عشرية تزيد على المغيرة بوضع هذا الإلحاد في كتاب الله قاعدة مطردة.

وفي الكافي عن أبي عبد الله قال: "وكان فلان شيطاناً"⁽¹⁾، قال المجلسي في شرحه على الكافي: المراد بفلان عمر⁽²⁾.

ب. أمثلة من تأويلات الشيعة لآيات القرآن:

حين احتج شيخ الشيعة في زمنه -والذي إذا أطلق لقب "العلامة" عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلبي) - على استحقاق علي للإمامة بقوله: "البرهان الثلاثون قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قال علي وفاطمة، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ النبي ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين. حينما احتج ابن المطهر بذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن، وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه. والتفسير بمثل هذا طريق الملاحدة بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق الملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه⁽³⁾.

1 () الكليني/ الكافي(المطبوع بهامش مرآة العقول: 4/416).

2 () مرآة العقول: 4/416.

3 () منهاج السنة: 4/66.

وأقول كيف لو رأى شيخ الإسلام ما أودع في الكافي والبحار وتفسير العياشي والقمي والبرهان وتفسير الصافي وغيرها من تحريف لمعاني القرآن سموه تفسيراً !!.

وبين يدي مجموعة كبيرة من هذا اللون.. يستغرق عرضها المجلدات، ركام هائل من الروايات.. حجت الشيعة عن نور القرآن وهديه.. فالتوحيد الذي هو أصل دعوة الرسل، وجوهر رسالتهم... هو عندهم ولاية الإمام فيروون عن أبي جعفر أنه قال: "ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا" وذلك قول الله في كتابه: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**⁽¹⁾. ورواياتهم في هذا الباب كثيرة، كما سيأتي⁽²⁾.

والإله في كتاب الله هو الإمام، فقوله تعالى: **﴿لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾**⁽³⁾ قال: أبو عبد الله - كما يزعمون - يعني بذلك ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد⁽⁴⁾. والرب هو الإمام عندهم. وقد يلتمس لهم في هذا التأويل عذر، لأن الرب في اللغة له استعمالات أخرى كرب البيت، ورب المال بمعنى صاحب ولكن يمنع من ذلك أن تأويلهم للرب في الإمام جرى في آيات هي نص في

1 () النحل: 36. تفسير العياشي: 2/261.

2 () في مبحث: عقيدتهم في توحيد الألوهية.

3 () النحل: 51.

4 () تفسير العياشي: 2/261، البرهان في تفسير القرآن:

2/373

الله سبحانه ولا تحتمل وجهاً آخر. وفي قوله سبحانه عن المشركين: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾**⁽¹⁾ قال القمي في تفسيره: "الكافر: الثاني (يعني عمر- رضي الله عنه وأرضاه-) كان على أمير المؤمنين عليه السلام ظهيراً"⁽²⁾. فاعتبر أمير المؤمنين علياً هو الرب. وقال الكاشاني "في البصائر"⁽³⁾ عن الباقر- عليه السلام- أنه سئل عن تفسيرها فقال (كما يفترون): "إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية، والرب هو الخالق الذي لا يوصف"، فهذا قد يفهم منه أن علياً هو الرب الذي لا يوصف- كما يفترون-، لأن الآية نص في حق الباري سبحانه؟!.

والصراط المستقيم في قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** هو أمير المؤمنين⁽⁴⁾ عندهم.

والشمس هي علي، فيروون عن الصادق في قوله: **﴿والشمس وضحاها﴾**⁽⁵⁾ قال: "الشمس أمير المؤمنين، وضحاها: قيام القائم". فهل يعني هذا أنه لما مات أمير المؤمنين اختفت الشمس من الوجود؟، والناس في ظلمة حتى يشرق ضحى القائم المنتظر؟

1 () الفرقان: 55.

2 () تفسير القمي: 2/115.

3 () يعني بصائر الدرجات لشيخهم الصغار.

4 () تفسير القمي: 1/28.

5 () الشمس: 1، البرهان: 4/467.

والمسجد، والمساجد، والكعبة، والقبلة هي الإمام والأئمة، فيروون عن الصادق في قوله تعالى: **﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾**⁽¹⁾ قال يعني الأئمة. وفي رواية أخرى عنه في قوله تعالى: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**⁽²⁾ قال يعني الأئمة. وفي قوله تعالى: **﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾**⁽³⁾ قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إماماً⁽⁴⁾، ويقول الصادق - عندهم -: ".. نحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله"⁽⁵⁾.

والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قوله تعالى **﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾**⁽⁶⁾ حيث قالوا: أي يدعون إلى ولاية علي في الدنيا".

ولعل مثل هذه الروايات هي السبب في شيوع عبادة الأئمة، وأضرحتهم، وعمارة المشاهد وتعطيل المساجد، لأن المشاهد هي المساجد، والإمام هو كعبة الله وقيلته، ولهذا صنّفوا كتباً سموها "مناسك المشاهد" أو "مناسك الزيارات"، أو "المزار"⁽⁷⁾،

1 () الأعراف: 29، تفسير العياشي: 2/12.

2 () الأعراف: 31، تفسير العياشي: 2/13.

3 () الجن: 18.

4 () الجن: 18، البرهان: 4/393.

5 () بحار الأنوار: 24/303.

6 () القلم: 43، تفسير القمي: 2/383.

7 () مثل كتاب: مناسك الزيارات للمفيد، وكتاب المزار لمحمد بن علي الفضيل، والمزار لمحمد المشهدي.

واعتنوا ببيان فضائلها وآدابها، وأخذت هذه المسائل في كتبهم المعتمدة قسماً كبيراً-كما سيأتي تفصيله. وتأويلهم لكثير من آيات القرآن بالإمامة والأئمة يربو على الحصر وكان القرآن لم ينزل إلا فيهم، ولقد تجاوزوا في هذه الدعاوى كل معقول، وأسرفوا في تأويلاتهم إلى ما يشبه هذيان المعتوهين حتى قالوا: إن النحل في قوله سبحانه: **﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ... ﴾** هم الأئمة، وروى القمي بإسناده إلى أبي عبد الله قال: "نحن النحل التي أوحى الله إليها **﴿ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾** أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة **﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ ﴾** يقول: من العجم **﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾** يقول: من الموالي"⁽¹⁾. وجمع المجلسي رواياتهم في هذا المعنى في باب بعنوان: "باب نادر في تأويل النحل بهم عليهم السلام"⁽²⁾، كما جاء بروايات تقول: إن الأئمة هم الماء المعين والقصر المشيد، والسحاب والمطر والفواكه وسائر المنافع الظاهرة"⁽³⁾.

وبعد.. فإن المتأمل لآيات القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها: **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾**⁽⁴⁾ لا يجد فيه ذكراً لما يدعون، والروايات التي يذكرونها يكفي في بيان فسادها

1 () النحل: 68، تفسير القمي: 1/387.

2 () بحار الأنوار: 110/24-113.

3 () انظر: بحار الأنوار: 100/24-110.

4 () يوسف: 2.

مجرد عرضها، فهي تحمل بنفسها ما يهدم بنيانها من الأساس، فهل يصدق أحد أن لعلي في القرآن (1154) اسماً؟! وهل يدخل في عقل أحد أن من أسماء علي البعوض والذباب؟!، وهل يوافق مؤمن على القول بأن ما ورد من آيات عن اليوم الآخر هي خاصة برجعة الأئمة؟، وكيف تناقش من يقول بأن آيات الإيمان والمؤمنين هي في الأئمة الاثني عشر، وآيات الكفر والكافرين هي في الصحابة؟، وإنني هنا أذهب إلى القول بأن هذا المستوى الذي هبط إليه هؤلاء هو من معجزات هذا الدين العظيم، فما من أحد ادّعى نبوة أو وحياً وأراد أن يضع في الدين ما ليس منه إلا وفضحه الله على رؤوس الأشهاد، وتالله إن هذه المقالات التي لا يمكن بحال أن تتفق مع العقل والنقل ولا اللغة والدين هي من أعظم فضائح القوم وعوراتهم.. وبها يكشف الله سبحانه وتعالى كذبهم وبهتانهم.

المبحث الثالث - هل الشيعة تقول بأن في كتاب الله نقصاً أو تغييراً؟

مدخل للموضوع:

وجاء هذا المبحث بهذه الصيغة الاستفهامية لثلاثة أسباب:

أولاً: أن طائفة من أعلام الاثني عشرية يتبرأون من هذه المقالة، مثل الشريف المرتضى، وابن بابويه القمي وغيرهما.

ثانياً: أن إجماع المسلمين كلهم قام على أن كتاب

الله سبحانه محفوظ بحفظ الله له **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** (1). ومن قال أن في القرآن نقصاً وتحريفاً فليس من أهل القبلة وليس من الإسلام في شيء، ومن هنا فإن العدل يقتضي أن نحتاط في دراستنا لهذه المسألة أبلغ الاحتياط، وأن نعدل في القول، فلا نرمي طائفة بهذه المقالة إلا بعد الدراسة والتثبت.

ثالثاً: أن هناك طائفة من المفكرين يرمون الشيعة بالقول بهذا الكفر، ويعممون ذلك، ولا شك بأن الشيعة فرق، والشيعة طبقات فلا يصح أن يقال مثلاً بأن متقدمي الشيعة يقولون بهذه المقالة (2)، ولا يقبل أن يقال بأن الزيدية تقول بهذه الفرية.. فأسلوب التعميم غير مرضي ولا مقبول.

وأقول إن دراسة هذه المسألة ليست من أجل الرد والنقض، إنما هي لبيان هل الشيعة تقول بهذه المقالة أم لا؟، وفي ثبوت ذلك أكبر فضيحة للشيعة يهدم بنيانها من الأساس ويزلزل كيانها من القواعد،

1 () فصلت: 42.

2 () وقد انساق "إحسان إلهي ظهير" وراء مقالة صاحب فصل الخطاب، بأنه لا يوجد من أنكر مقالة التحريف من الشيعة في القرون المتقدمة إلا هؤلاء الأربعة (يعني ابن بابويه القمي والمرتضى والطبرسي والطوسي) فقال إحسان: والحاصل أن متقدمي الشيعة ومتأخريهم جميعاً متفقون على أن القرآن محرف مغير فيه. (الشيعة والسنة ص 122 ط. دار الأنصار). والحقيقة أن هذه القضية بدأت عند الشيعة متأخرة عن نشأة الشيعة نفسها، وأن أوائل الشيعة ليسوا على هذا الضلال، وأن فرقا من الشيعة ليست على هذا "الباطل".

ولن يقبل منها قول ولا يسمع منها كلمة.. ومن ذا الذي يمس كتاب الله ويقبل منه مسلم قولاً أو يرتضي منه حكماً. ومن ثم فنحن نكتب هذه الدراسة لبيان حقيقة نسبة هذه المسألة للشيعة، لأن من حاول المساس بكتاب الله والنيل من قدسيته فإنه بعيد عن الإسلام وإن تسمى به، وأنه يجب كشفه لتعرف الأمة عداوته، لأنه يحارب الإسلام في أصله العظيم وركنه المتين.

نتائج الموضوع:

أولاً: يحتمل أن هذه الأسطورة نشأت عند الشيعة في القرن الثاني والذي تولى كبرها بعض الغلاة، وكان من أسبابها خلو كتاب الله مما يثبت بدعهم في الإمامة، والصحابة وغيرها.

ثانياً: أكبر كتب الشيعة المعتمدة عندهم قد روت هذا الكفر، جاءت معظم هذه الروايات صريحة في ذلك لا يمكن حملها على أنهم يقصدون تأويل الآية، أو بيان القراءات التي وردت فيها، بل جاءت تصرح بأن الآية هكذا والصحابة -بزعمها- غيرت ذلك، مثل الألفاظ التالية: "هذه الآية مما غيروا وحرفوا.." (1) يعنون الصحابة، وقولهم "أنزل الله سبعة بأسمائهم فمحت قريش ستة وتركوا أبا لهب" (2)، "كانت فيه أسماء رجال فألقيت" (3)، وقولهم "هكذا والله نزل به

1 () بحار الأنوار: 92/55.

2 () رجال الكشي: ص290، بحار الأنوار: 92/54.

3 () تفسير العياشي: 1/12، بحار الأنوار: 92/55.

جبرائيل على محمد ولكنه فيما حرف من كتاب الله⁽¹⁾، وقولهم "بلى والله إنه لمثبت فيها وأن أول من غير ذلك لابن أروى"⁽²⁾، ومثل ذلك كثير. فمن يقل من الشيعة أن رواياتهم الواردة في كتبهم من جنس روايات القراءات، ونسخ التلاوة، فهو يتستر على هذا الكفر، ويساوي بين الحق والباطل.

ثالثاً: ادعى جمع من شيوخهم استفاضة هذه "الأساطير" وكثرتها في كتبهم المعتمدة، وهذا طعن في كتبهم لا في كتاب الله سبحانه، ولهذا جاول بعض عقلائهم الخروج بالمذهب من هذا "المأزق" الذي وقع فيه، أو التستر على هذه الفضيحة.. لكن هذه الأسطورة كانت رواياتها تزيد -عبر القرون- رغم إنكار المنكرين، وتبنى إشاعتها طائفة من الزنادقة الذين اندسوا في الشيعة. ولا ريب بأن من يقل بهذه الأسطورة فليس من الإسلام في شيء، ولا علاقة له بكتاب الله ودينه، ولا برسول الإسلام، وأهل بيته بل له دين آخر غير دين الإسلام.

لكن القائلين بتغير القرآن الناقلين لتلك الأساطير كالمجلسي في "بحار الأنوار" والطبرسي في "فصل الخطاب" نراهم يستشهدون من كتاب الله، ويفتتحون كل باب من أبواب كتبهم بآيات من القرآن، كما يفعل المجلسي في بحاره، والطبرسي في "مستدرک الوسائل" وغيرهما، بل إن الطبرسي الذي

1 () بحار الأنوار: 92/56.

2 () تفسير فرات: ص 177، بحار الأنوار: 92/56.

كتب في فصل الخطاب ما كتب قد عقد في كتابه "مستدرك الوسائل" باباً بعنوان: باب استحباب الوضوء لمس كتاب الله ونسخه، وعدم جواز مسه المحدث والجنب كتابة القرآن⁽¹⁾. بل إن شيخ الشيعة المجلسي الذي قال -كما سلف- باستفاضة تلك الأساطير وأنها لا تقصر عن أخبار الإمامة، يقول مع ذلك: "بأن المذي بين الدفتين كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان"⁽²⁾.

ثم استشعر التناقض بين هذا القول وبين أساطيرهم في تحريف القرآن فقال: "فإن قال قائل كيف يصح القول بأن الذي بين الدفتين هو كلام الله على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان، وأنتم تروون عن الأئمة عليهم السلام أنهم قرؤوا: "يسألونك الأنفال" وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس، قيل له.. إن الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله بصحتها، فلذلك وقفنا فيها، ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أمرنا به.. مع أنه لا ننكر أن تأتي القراءة على وجهين منزلتين أحدهما ما تضمنه المصحف، والثاني كما جاء به الخبر كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على وجوه شتى"، ثم أشار إلى بعض القراءات⁽³⁾.

فما دام هذه نهاية الذين أثاروا تلك العقائد الكفرية،

1 () مستدرك الوسائل: 1/43.

2 () بحار الأنوار: 92/75.

3 () الموضوع نفسه من المصدر السابق.

فلماذا أثاروا تلك المفتريات وتناقلوها.. الجواب واضح من خلال ما سبق أن عرضناه وهو اقناع قومهم وأتباعهم بصحة ما هم عليه من معتقدات، وإن آيات من القرآن قد حذفها الصحابة تشهد لمذهبهم، ولهذا لاحظنا أنهم أيضاً ادعوا نزول كتب إلهية غير القرآن، وفزعوا إلى التفسير الباطني، كل ذلك لإثبات شذوذهم.. فإذا تحولت تلك الدعاوى إلى مجرد محاولات للتخلص من الإلزامات الواردة عليهم بخلو كتاب الله مما يثبت عقائدهم، ولكن تلك الروايات كان لها آثارها على فرق الشيعة⁽¹⁾، بل على الاثنى عشرية نفسها، فإن الإخباريين منهم يقدمون أخبارهم على كتاب الله كما سلف. حتى أشيع بأن الاثنى عشرية لهم مصحف خاص بهم..

رابعاً: كما أن لهم روايات تقول بالتحريف، فإن عندهم روايات أخرى تنفي هذا الباطل وتنكره مثل قول إمامهم: " واجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاحتجاج عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبي ﷺ: **"لا تجتمع أمتي على ضلالة"**⁽²⁾. ومثل ما جاء عندهم في ثواب

1 () كالدروز الذين اتخذوا لهم مصحفاً سموه: "مصحف المنفرد بذاته". انظر: مصطفى الشكعة/ إسلام بلا مذاهب، مقدمة الطبعة الخامسة، الخطيب/ عقيدة الدروز ص183-184.

2 () انظر: الشعراني: تعاليق علمية(على شرح الكافي للمازندراني) 2/414.

قراءة القرآن⁽¹⁾. وفضل حامل القرآن⁽²⁾، ووجوب عرض أحاديثهم عليه⁽³⁾. والتمسك به إلى قيام الساعة، وهذا يبطل أن يكون محرّفاً أو مخفياً عند منتظرهم.

خامساً: تبين لنا أن هذه الأسطورة حملت بذاتها باطلها، وتبين من عناصر تكوينها فسادها، وكان مجرد عرضها كافياً في الرد عليها ويكفي في بيان كذب الروافض.. أن علي بن أبي طالب الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم ولي الأمر وملك، فبقى خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعاً ظاهراً الأمر.. والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلورأى فيه تبديلاً كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك؟، ثم أتى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك.

فكيف يسوغ لهؤلاء النوكي أن يقولوا إن في المصحف حرف زائداً أو ناقصاً أو مبدلاً مع هذا؟!.

ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين⁽⁴⁾.

1 () انظر: أصول الكافي: كتاب فضل القرآن: 2/611.

2 () المصدر السابق: 3/603.

3 () المصدر السابق: باب الرد إلي الكتاب والسنة: 1/59.

4 () ابن حزم/ الفصل: 2/216-217. والنوكي: جمع نُوكٍ وهو الأحمق. وقيل الجاهل والعاجز: انظر لسان العرب. وجاء

ثانياً: اعتقادهم في السنة:

الشيعة تقول بالسنة ظاهراً وتكرها باطنياً، إذ أن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهها مخالفاً للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون، ويتبين ذلك فيما يلي:

قول الإمام كقول الله ورسوله:

فالسنة عندهم هي: "كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير"⁽¹⁾، ولكن الشيعة تعطي صفة العصمة لآخرين غير رسول الله ﷺ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الاثنى عشر لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثنى عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، ولا فرق في كلام هؤلاء الاثنى عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي، إذ إنهم -في نظرهم- لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم- كما سيأتي في مسألة العصمة.

وقد جاء في الكافي ما يعدونه حجة لهم في هذا المذهب وهو قول أبي عبد الله -كما يزعم صاحب الكافي- "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين

جمعه على وزن فعلى لأنه مما يصاب به مما يكره كقتلى وغرقى وجرحى وهلكى وموتى.. وكثيراً ما يستخدم الإمام ابن حزم -رحمه الله- هذه اللفظة في الحمل على مخالفه.

(1) محمد تقي الحكيم/ الأصول العامة للفقه المقارن ص:

وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل⁽¹⁾.

وذكر شارح الكافي أن هذا القول يدل على "أن حديث كل واحد من الأئمة الظاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى"⁽²⁾.

بل قال: "يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله رضي الله عنه أن يرويه عن أبيه أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول قال الله تعالى"⁽³⁾ وهذا صريح في جواز نسبة أقوال البشر إلى الله سبحانه. ثم ذكر أن بعض رواياتهم تدل على جواز ذلك بل أولويته"⁽⁴⁾.

وهذه الروايات صريحة في استساغتهم الكذب البواح الصراح حيث ينسبون -مثلاً- لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما لم يقله، بل قاله بعض أحفاده ممن لم يشتهر عنه العلم.

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة.

الأصل الأول: علم الأئمة يتحقق عن طريق الإلهام والوحي:

1 () أصول الكافي: كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث: 1/53، وسائل الشيعة: 18/58.

2 () المازندراني/ شرح جامع (على الكافي) 2/272.

3 () الموضوع نفسه من المصدر السابق.

4 () الموضوع نفسه من المصدر السابق.

علم الأئمة يتحقق - في نظرهم - عن طريق الإلهام وحقيقته كما قال صاحب الكافي في روايته عن أئمتهم "النكت في القلوب"⁽¹⁾.

والإلهام ليس هو الوسيلة الوحيدة في هذا بل صرح صاحب الكافي أن هناك طرقاً أخرى غيره، حيث ذكر في بعض رواياته أن من وجوه علوم الأئمة "النقر في الأسماع"⁽²⁾ إذن هناك وسيلة أخرى غير الإلهام وهو نقر في الأسماع بتحديث الملك⁽³⁾، وهو يسمع الصوت ولا يرى الملك.

وتتحدث رواية أخرى لهم عن أنواع الوحي للإمام فتذكر أن جعفرًا قال: "إن منا لمن ينكت في أذنه، وإن منا لمن يؤتى في منامه، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع علنًا لطلشت (كذا)، وإن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل"⁽⁴⁾.

وثمة روايات أخرى في البحار بهذا المعنى⁽⁵⁾. وكانهم بهذا المقام أرفع من النبي الذي لا يأتيه إلا جبرائيل، وتأتي روايات تبين هذه الصورة التي أعظم من جبرائيل وميكائيل بأنها الروح⁽⁶⁾ عندهم، وقد

1 () أصول الكافي: 1/264.

2 () أصول الكافي: 1/264.

3 () المازندراني / شرح جامع (على الكافي) 6/44.

4 () بحار الأنوار: 26/358، بصائر الدرجات: ص: 63.

5 () انظر بحار الأنوار: 26/53 وما بعدها.

6 () وقد ورد في معاني الأخبار لابن بابويه تفسير للروح بأنها - كما يقول إمامهم -: "عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل".
عيون الأخبار: ص 354.

خصها صاحب الكافي بباب مستقل بعنوان: باب الروح التي يسددها الله بها الأئمة، وذكر فيها ست روايات⁽¹⁾ منها: "عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تبارك وتعالى: **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده"⁽²⁾. ومعلوم أن الروح في هذه الآية المراد بها القرآن، كما يدل عليه لفظ الآية **أَوْحَيْنَا**، وقد سماه الله سبحانه روحاً لتوقف الحياة الحقيقية على الاهتداء به⁽³⁾. وكان هذه الدعاوى حول الوحي للإمام قد غابت عن مفيدهم (المتوفى سنة 413هـ) أو صنعت فيما بعد إذ رأينا المفيد يقرر الاتفاق والإجماع على "أنه من يزعم أن أحداً بعد نبينا يوحى إليه فقد كفر وأخطأ."⁽⁴⁾، أو يكون قوله هذا تقية.

بل إن الأئمة تذهب إلى عرش الرحمن - كما يزعمون - كل جمعة لتطوف به فتأخذ من العلم ما شاءت. قال أبو عبد الله: "إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمة عليهم السلام معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى

1 () أصول الكافي: 1/273-274.

2 () المصدر السابق: 1/273.

3 () شرح الطحاوية: ص 4.

4 () أوائل المقالات: ص 39.

أبداننا إلا بعلم مستفاد ولولا ذلك لأنفدنا"⁽¹⁾.

بل جاء في البحار تسع عشرة رواية تذكر بأن الله ناجى علياً، وأن جبرائيل يملي عليه.."⁽²⁾.

الأصل الثاني: خزن العلم وإيداع الشريعة عند الأئمة:

جاء في الكافي عن موسى بن جعفر قال - كما يزعمون - "مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا"⁽³⁾. وفي البحار، وبصائر الدرجات ثلاث روايات بهذا اللفظ⁽⁴⁾.

العلم الحادث هو ما تقدم بيانه، وهو كما أشارت الرواية يعد من أفضل علومهم، لأنه كما يقول بعض شيوخهم حصل لهم من الله بلا واسطة⁽⁵⁾. أي من الله مباشرة بلا واسطة ملك من الملائكة، وهذا يشبه قول غلاة الصوفية مثل ابن عربي.

أما الماضي المفسر والغابر المزبور فقد أوضح شارح الكافي معناهما بقوله يعني: الماضي الذي تعلق علمنا به، وهو كل ما كان مفسراً لنا بالتفسير

1 () أصول الكافي: 1/254، بحار الأنوار: 26/88-89، بصائر الدرجات: ص 36.

2 () بحار الأنوار: 151/39-157.

3 () أصول الكافي: 1/264.

4 () بحار الأنوار: 26/59، بصائر الدرجات ص 92.

5 () المازندراني/ شرح جامع: 6/44.

النبوي، والغاير المزبور الذي تعلق علمنا به هو كل ما يكون مزبوراً مكتوباً عندنا بخط علي رضي الله عنه وإملاء الملائكة مثل الجامعة وغيرها". فهذا يتبين أن العلم المستودع عند الأئمة نوعان: كتب ورثوها عن النبي، أو علم تلقوه مشافهة منه ﷺ، وفحوى هذا الاعتقاد الذي يعتبر من ضرورات مذهبهم وأركان دينهم أن رسول الله ﷺ بلغ جزءاً من الشريعة وكتب الباقي وأودعه علياً فأظهر عليٌّ منه جزءاً في حياته، وعند موته أودعه الحسن، وهكذا كل إمام يظهر منه جزءاً حسب الحاجة ثم يعهد بالباقي لمن يليه إلى أن صار عند إمامهم المنتظر.

هذه بعض الخطوط العامة لهذه العقيدة الخطيرة في مذهب الشيعة.

النقد:

هذه المزاعم الخطيرة التي دونها الروافض في المعتمد من كتبهم تحمل أموراً خطيرة:

تحمل دعوى استمرار الوحي الإلهي، وهو باطل.. قامت الأدلة العقلية والعقلية على بطلانه، وأجمع المسلمون على أن "الوحي قد انقطع منذ مات النبي ﷺ، والوحي لا يكون إلا لنبي، وقد قال الله سبحانه: **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﷺ⁽¹⁾.

ثم هي تدعي أن المدين لم يكمل، وهي مخالفة

1 () الأحزاب: 40.

صريحة لقول الله سبحانه: **اليوم أكملت لكم دينكم**..⁽¹⁾ كما تزعم بأن رسول الهدى ﷺ لم يبلغ جميع ما أنزل إليه، وأنه لم يمثل أمر ربه في قوله: **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**..⁽²⁾ وهذا إضرار بحق رسول الله، ولهذا وجد من فرق الشيعة من يقع في رسول الله⁽³⁾..

وقد بلغ النبي ﷺ البلاغ المبين، وبين الدين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: **..لتبينه للناس ولا تكتمونه**..⁽⁴⁾ فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال تعالى: **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا**..⁽⁵⁾ وقال: **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**..⁽⁶⁾

"فالدين قد تم وكمل لا يزداد فيه ولا ينقص منه ولا

1 () المائدة: 3.

2 () المائدة: 67.

3 () وهي طائفة العلبائية.

4 () آل عمران: 187.

5 () البقرة: 159-160.

6 () النحل: 64.

يبدل"⁽¹⁾ لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم.

وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله وبين جميعه كما أمره ربه، وأعلم بذلك المسلمين أجمع "فلا سر في الدين عند أحد"⁽²⁾. قال **﴿تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك﴾**⁽³⁾ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء"⁽⁴⁾. **وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً**⁽⁵⁾. **وقال عمر رضي الله عنه: "قام فينا رسول الله مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه"**⁽⁶⁾. **وقال الإمام الشافعي: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى**

(1) ابن حزم/ المحلى: 1/26.

(2) المصدر السابق: 1/15.

(3) هذا جزء من حديث رواه ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين: 1/16، وأحمد في مسنده: 4/126، والحاكم في مستدرکه: 1/96، وابن أبي عاصم في كتاب السنة، باب ذكر قول النبي ﷺ: تركتكم على مثل البيضاء، وروى عدة روايات في هذا المعنى صحح الألباني معظمها.

(4) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: 1/26.

(5) روى هذا الأثر الإمام أحمد في مسنده: 5/153.

(6) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: **﴿وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده﴾** ج 4 ص 73.

فيها"⁽¹⁾. **بل قال جعفر الصادق** - كما تنقل كتب الشيعة نفسها-: "إن الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه"⁽²⁾. فكل ما تنسبه الشيعة بعد هذا كذب.

والرافضة ليست على شيء في مخالفتها في هذا الأصل العظيم الذي "هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً"⁽³⁾.

إن الحق الذي لا ريب فيه أن الله أكمل لنا ديننا **﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾**⁽⁴⁾، وكل دعوى بعد ذلك فهي باطل وزور...

وكل هذه الدعاوى أرادت منها هذه الزمرة إثبات ما تزعمه في الأمة.. فزادت وغلت في ذلك.. فانكشف بذلك أمرها.. والشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده.

مرويات الصحابة:

يقول محمد حسين آل كاشف الغطا -أحد مراجع شيعة هذا العصر- في تقرير مذهب طائفته في ذلك:

-
- 1 () الرسالة: ص 20.
 - 2 () أصول الكافي: 1/59.
 - 3 () معارج الوصول: ص 2، وانظر: موافقة صحيح المنقول: 1/13.
 - 4 () المائدة: 3.

"إن الشيعة لا يَعتَبِرون من السنة (أعني الأحاديث النبوية) إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت.. أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية مقدار بعوضة"، فهو هنا يقرر أن مذهب الشيعة هو قبول "ما صح لهم من طرق أهل البيت"⁽¹⁾ دون ما سواه من روايات صحابة رسول الله-ﷺ، وإذا عرفنا أن الاثنى عشرية تعني بأهل البيت "الأئمة الاثنى عشر"، والذي أدرك الرسول-ﷺ- منهم وهو مميز هو أمير المؤمنين علي، وعليه فهل يتمكن أمير المؤمنين من نقل سنة

¹ () قوله: "ما صح لهم من طرق أهل البيت" هذا تعبير فيه شيء من التلمويه والخداع، لأن من لا يعرف طبيعة مذهب الشيعة يظن أن العمدة عندهم هو كلام رسول الله ﷺ الذي جاء من طرق آل البيت، في حين أنهم يعدون الواحد من الاثنى عشر كالرسول لا ينطق عن الهوى، وقوله كقول الله ورسوله، ولذلك يندر وجود أقوال الرسول في مدوناتهم، لأنهم اكتفوا بما جاء عن أئمتهم، كما أن قوله "أهل البيت" إنما يعني بعضهم وليس كل آل البيت يصلحون-عندهم- طريقاً للرواية، لأن آل البيت ليسوا جميعاً أئمة، فالرواية عن ذرية فاطمة من ولد الحسن رضي الله عنه لا تعتبر روايتهم، لأن من بعد الحسن من ذريته ليسوا أئمة عندهم، وغاية أمرهم أن يعتبروا مجرد رواة يخضعون للرد والقبول، ولذلك كفر الاثنى عشرية كل من خرج وادعى الإمامة من آل البيت (ماعدا الأئمة الاثنى عشر عندهم). أصول الكافي: 1/372 رقم 1، 3.

وبلاحظ أن الطوسي في "الاستبصار" يرد روايات زيد بن علي (الاستبصار: 1/66). فتعبير آل كاشف الغطا فيه شيء من التلمويه والخداع، لأن الكتاب وضع للدعاية للتشيع في العالم الإسلامي.

الرسول-ﷺ- كلها للأجيال.. كيف وهو لا يكون مع الرسول-ﷺ- في كل الأحيان.. فقد كان الرسول-ﷺ- يسافر ويستخلفه في بعض الأحيان كما في غزوة تبوك، كما كان على يسافر ورسول الله في المدينة فقد بعثه رسول الله إلى اليمن، وكذلك أحقه بأبي بكر حين أرسله لأهل مكة، بالإضافة إلى حال الرسول-ﷺ- في بيته والتي يختص بنقلها زوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهم وهذا من أسرار وحكم تعددهن.. فإذن علي لا يمكن أن يستقل بنقل سنة رسول الله-ﷺ- وحده فكيف يقولون بأنهم لا يقبلون إلا ما جاء عن طريقه، كما أن هذه المقالة، وهي حصر نقل سنة رسول الله-ﷺ- بواحد يفضي إلى فقدان صفة التواتر في نقل شريعة القرآن، وسنة سيد الأنام-ﷺ- "ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلغ عنه العلم واحداً؛ بل يجب أن يكون المبلغون أهل التواتر الذين يحصل العلم بخبرهم للغائب.." (1).

1 () منهاج السنة: 4/138. ويقول شيخ الإسلام أيضاً؛ وخبر الواحد لا يفيد العلم بالقرآن والسنن المتواترة، وإذا قالوا ذلك الواحد المعصوم يحصل العلم بخبره قيل لهم فلا بد من العلم بعصمته أولاً وعصمته لا تثبت بمجرد خبره قبل أن تعرف عصمته لأنه دور، ولا تثبت بالإجماع فإنه لا إجماع فيها، وعند الإمامية إنما يكون الإجماع حجة لأن فيهم الإمام المعصوم فيعود الأمر إلى إثبات عصمته بمجرد دعواه، فعلم أن عصمته لو كانت حقاً لا بد أن تعلم بطريق آخر غير خبره. (منهاج السنة: 4/139).

كما أن جل بلاد الإسلام بلغهم العلم عن رسول الله من غير طريق علي رضي الله عنه⁽¹⁾ وعامة من بَلَغَ عنه من غير أهل بيته -فضلاً أن يكون هو علي وحده- فقد بعث رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلم الأنصار القرآن، ويفقههم في الدين، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في مثل ذلك، وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وبعث عتاب بن أسيد إلى مكة فأين قول من زعم أنه لا يبلغ عنه إلا رجل من أهل بيته⁽²⁾.

وقد قال بعض أهل العلم إنه "لم يرو عن علي إلا خمسمائة وستة وثمانون حديثاً مسندة يصح منها نحو خمسين حديثاً"⁽³⁾. فهل سنة الرسول هي هذه فقط

1 () قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "...فإن جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير علي، أما أهل المدينة ومكة فالأمر فيها ظاهر، وكذلك الشام والبصرة، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن علي إلا شيئاً قليلاً، وإنما كان غالب علمه في الكوفة، كانوا يعلمون القرآن والسنة قبل أن يتولى عثمان فضلاً عن علي، وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين في خلافة عمر، وتعليم معاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من علي ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما روى عن علي، وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقهوا على معاذ بن جبل، ولما قدم علي الكوفة كان شريح فيها قاضياً وهو وعبدة السلماني تفقها على غيره، فانتشر علم الإسلام في المدائن قبل أن يقدم علي الكوفة. (منهاج السنة: 4/139).

() منهاج السنة: 3/15.

() ابن حزم: الفصل: 4/213، منهاج السنة: 4/139..

ثالثاً: عقيدتهم في الإجماع:

والشيعة لا ترى إجماع الصحابة والسلف أو إجماع الأمة إجماعاً، ولها في هذا الباب عقائد مخالفة نذكرها فيما يلي:

أولاً: الحجة في قول الإمام لا في الإجماع:

نقلت كتب الأصول عند أهل السنة أن الشيعة تقول: "إن الإجماع حجة لا لكونه إجماعاً، بل لاشتماله على قول الإمام المعصوم، وقوله بانفراده عندهم حجة"⁽¹⁾.

ونستطلع فيما يلي رأى الشيعة من مصادرها، يقول ابن المطهر الحلبي: "الإجماع إنما هو حجة عندنا لاشتماله على قول المعصوم، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها، فإجماعها حجة لا لأجل الإجماع"⁽²⁾ وبمثل هذا قال عدد من شيوخهم⁽³⁾.

وحتى يتجلى لك الفرق جلياً بين مذهب أهل السنة في القول بحجية الإجماع، وبين مذهب الشيعة في ذلك، فلك أن تتصور أنه لو صدر من إمامهم محمد

1 () الإسنوي/ نهاية السؤل: 3/247.

2 () ابن المطهر/ تهذيب الوصول إلى علم الأصول: ص70، ط. طهران 1308هـ.

3 () انظر: المفيد/ أوائل المقالات ص 99-100، قوامع الفضول ص305، حسين معتوق/ المرجعية الدينية العليا ص 16، وراجع كتب الأصول عندهم عامة.

الجواد، والذي قالوا بإمامته وهو ابن خمس سنين⁽¹⁾:
لو صدر منه وهو في هذا العمر قول أو رأي، أو نسب
إليه عن طريق جماعة من الروافض أنه يقول في
أمر شرعى بحكم، أو قول، وخالفته في ذلك الأمة
الإسلامية جميعاً، فإن الحجة في رأيه لا في إجماع
الأمة⁽²⁾.

وهذا مذهب في غاية البطلان لا يحتاج إلى مناقشة.
ولهذا قرر المفيد أن هذا مما شذت به طائفته،
فقال: "وهذا مذهب أهل الإمامة خاصة، ويخالفهم
فيه المعتزلة والمرجئة والخوارج وأصحاب
الحديث..".

ثانياً: ما خالف العامة فيه الرشاد:

الإجماع عند جمهور المسلمين ينظر فيه إلى إجماع
الأمة، لأن الأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة. قال
تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما
تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**⁽³⁾ وقال:-:

1 () انظر: بحار الأنوار: 25/103.

2 () وقد جاء في أصول الكافي القول بإمامة الإمام، ولو كان
عمره ثلاث سنين. انظر: أصول الكافي، كتاب الحجة، باب
الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني: 1/321، وانظر: المفيد/
الإرشاد ص298، الطبرسي/ أعلام الورى: ص331. وفيهما
"ولو كان ابن أقل من ثلاث سنين"، وبحار الأنوار: 25/102-
103.

3 () النساء: 115، فمن خرج عن إجماع الأمة فقد اتبع غير

"لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس"⁽¹⁾.

وروى عنه   عدة روايات في أن هذه الأمة "لا تجتمع على ضلالة"⁽²⁾.

سبيل المؤمنين (انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 19/194)، ولذلك عول الإمام الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته بهذه الآية الكريمة، وذلك بعد التروي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها (تفسير ابن كثير: 1/590). ولشيخ الإسلام تحقيق بديع حول هذه الآية والإجماع، (انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 19/178، 179، 192 وما بعدها، وانظر تفسير القاسمي: 5/459 وما بعدها).

قال الإمام ابن كثير قوله:   ويتبع غير سبيل المؤمنين   هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبیهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك.. ومن العلماء من ادعى تواتر معناها (تفسير ابن كثير: 1/590).

(1) رواه مسلم في كتاب الجهاد، باب قول النبي  : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" 2/1524. والحديث بهذا المعنى أخرجه أيضاً البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي  : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" 8/149.

(2) **قال السخاوي:** حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره (المقاصد الحسنة: ص 460). فروي عنه   أنه قال: "إن الله أجاركم من ثلاث

هذا بالنسبة لجمهور المسلمين، أما طائفة الشيعة فالنظر عندهم في الإجماع إلى الإمام لا إلى الأمة، والاعتبار بمن دان بإمامة الاثنى عشر بشرط أن يكون من ضمنهم الإمام، أو يكون إجماعهم كاشفاً عن قول الإمام -كما قدمنا- ولا يلتفت إلى اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ.

خلال (ومنها) وأن لا تجتمعوا على ضلالة، رواه أبو داود في سننه: 4/452، رقم 4253، قال الحافظ في التلخيص: في إسناده انقطاع، وقال في موضع آخر: سنده حسن (عون المعبود: 11/426)، وروى أحمد عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سألت الله عز وجل أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها" (المسند 6/396) قال الحافظ في التلخيص: "رجاله ثقات لكن فيه راوٍ لم يسم" (عون المعبود: 11/326)، وروى الترمذي عن ابن عمر "أن الله تعالى لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار" قال أبو عيسى: حديث غريب من هذا الوجه (سنن الترمذي 4/466، رقم 2167)، وقال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية، واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح، لكنه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظاً حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها، وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف (عن فيض القدير 2/271). ورواه ابن ماجة بلفظ: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة" (سنن ابن ماجة: كتاب الفتن، باب السواد الأعظم 2/1303، رقم 3950)، وأورده السيوطي في الجامع ورمز له بالصحة (فيض القدير: 2/431) لكن قال السندي: "وفي الزوائد في إسناده أبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء وهو ضعيف (حاشية السندي على سنن ابن ماجة: 2/464)، وقال العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي: جاء الحديث

بل الأمر أعظم من عدم اعتبار إجماعهم، حيث تعدى ذلك إلى القول بأن مخالفة إجماع المسلمين فيه الرشاد، وصار مبدأ المخالفة أصلاً من أصول الترجيح عندهم، وأساساً من أسس مذهبهم، وجاءت عندهم نصوص كثيرة تؤكد هذا المبدأ وتدعو إليه.

ففي أصول الكافي سؤال لأحد أئمتهم يقول: إذا "... وجدنا أحد الخبرين موافقاً للعادة (يعني أهل السنة) والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العادة ففيه الرشاد، فقلت (القائل هو الراوي) جعلت فداك، فإن وافقها الخبران جميعاً؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل إليه حكاهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت: فإن وافق

بطرق في كلها نظر (لمصدر السابق)، وقال ابن حجر: "له طرق لا يخلو واحد منها من مقال" (عن فيض القدير: 2/200)، وقد أورده أصحاب الأصول محتجين به. انظر: المستصفي: 1/175، والأحكام للآمدي: 1/219.

[قال جامعهم: رواية أبي داود ضعفها الألباني في السنن، ولكن قال: الجملة الثالثة (يعني محل الشاهد) صحيحة، الصحيحة 1331. وراجع الضعيفة 1510-ورواية الترمذي صححها الألباني في السنن دون طرفها الأخير- ورواية ابن ماجه ضعفها جداً في السنن دون محل الشاهد- ورواية أحمد قال محققوا مسند الرسالة: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن أبي بصرة (45/200-ح 27224 الرسالة، 6/396 الميمية)- وتفسير ابن كثير: الآية 65 من سورة الأنعام، والطبري نفس الآية - وانظر: السنة لابن أبي =عاصم: 80، 82، 83، 84، 85، 92، والمشكاة 173، والضعيفة 4896، وصحيح الجامع 1844، الطبراني في الكبير (2171)، الحاكم 1/116، ومجمع الزوائد 7/221، 222].

حكامهم الخبرين جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فارجه
حتى